JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ
العدد السادس والثلاثون
(٣٩) (١)

حجاج المساواة في كتب الموازنات التراثية
كتاب العمدة أنموذجا .

م م : رحاب كمر عبد الحسن
كلية التربية الاساسية / جامعة واسط
Rihab.Al-Tamimi@uowasit.edu.iq
أ.د : جميل بديوي حمد الزهيري
كلية التربية للعلوم الأنسانية / جامعة واسط .
jba9939@gmail.com

المستخلص:

يؤدي الحجاج في دراسة المدونة التراثية دورا مهما في تنضيج خطابه النقدي والكشف عن إسراره وإبداع مؤلفيه، مما يعكس قيمة الترابط بين الحجاج والتراث . وكتاب العمدة لابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ هـ) يعد من المؤلفات الأدبية المهمة التي أغنت القارئ العربي المولع بالتراث لما يقدمه هذا المؤلف التراثي من قضأيا أدبية ونقدية تمثل محور الفكر الجمالي والنقدي العربي . تعد الموازنات الشعرية من بين القضأيا التي عالجها الكتاب إذ قسم الشعراء من خلالها على طبقات متعددة ، وان لم يكن الكتاب خاصا بها ، إلا أنَّه استطاع ان يقدم لنا معايير جديدة مثل (الشهرة) التي جاءت لدى القيرواني مساوية للفحولة الشعرية عند الاصمعي و ابن سلام .

وقد جاءت الطبقات متمثلة بطبقات الخلفاء والقضاة والفقهاء ، وطبقة الشعراء المشهورين ، وطبقة الشعراء المقلين وطبقة المغلبين ، ونجد ان القيرواني تجاوز عنصر الزمن الذي توقف مع الاصمعي عند العصر الجاهلي ، ومع ابن سلام عند الجاهلي والإسلامي ليشمل شعر المولدين أيضاً .

الكلمات المفتاحية : الحجاج ، المساواة ، طبقات ، موازنات ، ابن رشيق ، الشعراء .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

Arguments for equality in heritage budget books,

Al-Umda book as a model

Rehab Gumar Abdul Hasans

Rihab.Al-Tamimi@uowasit.edu.iq
Wasit university, College of Basic Education

PH.Jamel . Al _ Zuhayri

College of Education for Humanities
jba9939@gmail.com

Abstract

In the study of the heritage blog, pilgrims play an important role in the meturation of their critical discourse and revealing its secrets and the creativity of its authors, which reflects the value of the interdependence between pilgrims and heritage. The book of the Mayor by Ibn Rashiq Al-Qayrawani (d. 463 AH) is one of the important literary works that enriched the Arab reader who is fond of heritage because of the literary and critical issues presented by this heritage author that represent the axis of Arab aesthetic and critical thought. Poetic balances are among the issues addressed by the book, as the poets were divided into multiple layers, although the book is not its own, but it was able to provide us with new standards such as (fame) that came to Al-Qayrwani equal to the poetic viscenity in Al-Asma'i and Ibn Salam .

The classes were represented by the classes of the caliphs, judges and jurists, the class of the famous poets, the class of the fried poets and the class of the majority, and we find that the Qayrwani exceeded the element of time that stopped with the Al-Asma'i in the pre-Islamic era, and with Ibn Salam in the pre-Islamic and Islamic to include the poetry of the births as well

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

Keywords: pilgrims, equality, layers, balances, a graceful son, poets.

المقدمة :

تنفرد كتب النقد التراثي العربي بمزية خاصة قد لا تخطئها عين القارئ ، وهي مزية التنوع في إنماط التفكير النقدي ، الذي مرده إلى طبيعة انتماء هؤلاء النقاد إلى مدارس فكرية مختلفة انتجتها البيئة الثقافية الحاضنة لهم ، وبدأت أفكارها تتضح شيئا فشيئا مع مرور الزمن ، لاسيما في نهأيات القرن الثاني الهجري ، واستمرت على تلك الوتيرة مع زيادة في نسبة الوضوح، تساوقا مع التطور والازدهار الذي بدأت تشهده تلك البيئة الثقافية من تلاقح فكري وحضاري انتج لنا كتابا ومفكرين ، اقل ما يمكن وصفهم بالموسوعيين ، إلا أنَّ ابرز تيار فكري خلق التمأيز داخل المدرسة الأدبية العربية هو التيار المتأثر بالفلسفة اليونانية (المنطقية) يقابله تيار عربي تقليدي مثله الشيوخ ورجال اللغة والرواة والشعراء ، ما ادى إلى إنتاج خطاب نقدي إنماز بالثراء الفكري.

و لم تكن الموازنات بين الشعراء والأدباء سوى نمط من إنماط ذلك التفكير النقدي العالي والثري بالرؤى النقدية التي كشفت عن نضج العقلية الأدبية العربية التي حولت تلك الممارسات العصبية في تفضيل شاعر على شاعر أو أديب على آخر إلى إنماط من التفكير النقدي ، تمظهرت على شكل مؤلفات مدونة ،كان المنهج ينضج فيها من مؤلف إلى آخر حتى شكل النقد العربي نظرية كاملة في النقد ، وان كانت بإمكاناتها وأدواتها البسيطة ، لذا نجد ان التنوع يمثل قراءة نقدية يمكننا عدها معيارا أو مؤشرا لتطور النقد التراثي العربي ورؤاه من مرحلة إلى مرحلة او من عصر إلى آخر ، بل مؤشرا على رفعته وثرائه .

ويمكن الاتفاق مع الآراء التي تقول ، وهي كثيرة ، ان الخطاب النقدي العربي التراثي ، إنما هو خطاب حجاجي بامتياز ، وهذا ما يمكن ان يتلسمه القارئ للنقد التراثي في خطاباته التي ترتكز في الاغلب على فرضيات يجتهد هؤلاء النقاد في اثبات صحتها ومن ثم إقناع الجمهور بها ، منطلقين بذلك من مراعاة قرائهم الضمنيين بها .

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

ووجدنا في هذا التنوع ، متنا نقديا قادرا على اثراء النظرية الحجاجية وممارستها تراثيا ، من جهة ، فضلا عن اثراء قضية الموازنات النقدية التي شغلت ذهن الشعراء العرب مثلما شغلت فكر النقاد ، من جهة أخرى ، ونذهب أكثر من ذلك ، انها شغلت أيضاً ، فكر الجمهور المحيط بهؤلاء الشعراء ، و ان هذا الجمهور يبدأ من علية القوم ، كالخلفاء والامراء والقادة ، وانتهاء بأبسط طبقات المجتمع . بل ان هؤلاء ، هم من اشعلوا حرب الموازنات التي ظلت نارها مستعرة ، لم تستطع أقلام النقاد وكتب الموازنات ان تطفئها على مر الزمن .

الحجاج والنقد التراثي

الخطاب النقدي التراثي خطاب حجاجي بامتياز ، هذه مسلمة لابد أن نبدأ من خلالها، وهي لا تحتاج إلى عناء كبير لإثباتها ، إذ يمكننا الاستدلال على ذلك بالنظر إلى طبيعة التعاطي مع الأفكار الجديدة، ومنها على سبيل المثال ، الأفكار المتعلقة بالنقد ، فلابد لقائلها ان يقدمها في سياق ذي طبيعة حجاجية ، فطبيعتها البكر تحتم على منتجها حينما يسعى إلى اطلاقها وتمريرها ان يثبت مصداقيتها ويقنع الآخرين بها ؛ وهذا شأن المؤلفات النقدية التراثية التي كانت تمثل أصول النظرية النقدية العربية ، فكان لابد لهؤلاء النقاد أن يدافعوا عن أفكارهم وآرائهم ما يتطلب منهم حضور فعل المحاججة وأدواتها في خطابتهم تلك ، ولعل ما يؤيد ما مضينا اليه هو كلام الدكتورة بشرى موسى صالح حول علاقة النقد التراثي العربي بالحجاج وحضوره البارز فيه : (ولا نجانب الصواب حين نقول إن النقد العربي القديم هو نقد حجاجي بعامة يميل إلى إنتاج خطاب نقدي تدأولي . إقناعي وظيفته بناء الحجج والبراهين على صحة الأفكار النقدية والمعايير التدأولية العامة والخاصة ،وان اغلب النقاد العرب القدامى كانوا يفترضون وجود متلق افتراضي فضلا عن المتلقي الضمني يتوجهون بحجاجهم اليه عبر توظيف جميع وسائل الإقناع والتوصيل والجدل) (صالح : ٢٠١٩ : ١٩) فالدكتورة بشرى موسى صالح كما هو واضح، تضم النقد العربي التراثي كله تحت خيمة الحجاج ، ولعل غلبة العقلية المنطقية في الرؤى النقدية التراثية هي التي جعلت الناقد العربي ناقدا منطقيا يميل إلى الحجج والاثباتات التي يسعى من خلالها الوصول إلى تحقيق الإقناع لدى متلقيه والتأثير فيه ، والشواهد كثيرة في الكثير من المؤلفات النقدية التي تتأولت الحجاج في دراسة المدونات التراثية ، لذا نجد كتابها المهم (الاعراف التدأولية) يمثل مادة علمية مهمة تبرز لنا قيمة الحجاج في المدونة التراثية ، بل ان هذه المنطقية الحجاجية نجدها تتجاوز الخطاب النقدي إلى الخطاب الفني

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

الجمالي ، واعني الشعر الذي يعد من ابرز الفنون التي تتنافر مع المنطق ،افتراضا، إلا أنَّنا نجد الحجاج حاضرا فيه ، فنجد شاعرا محاججا مؤثرا يستعمل كل طاقات اللغة لتحقيق ذلك ، ولذلك نجد دراسة كاملة تتحدث عن القيمة الحجاجية في الشعر العربي. (ينظر: الدريدي : ٢٠١١ : ٣٨) وبذلك فإنَّنا لا تتفق تماما مع الناقد جميل عبد المجيد في تقييده لصورة الحجاج في (الجدل والمناظرة) فقط التي تحدث بين زعماء الملل والنحل ، و بين النحاة والمناطقة، وبين الفلاسفة والمتكلمين. (عبد المجيد : ٢٠٠٠: ١٢٦) بل ان هذا الخطاب يشتغل على دائرة اوسع من ذلك بكثير ؛ و مصاديق اعتراضنا نجدها في مقولات الكتاب التراثيين انفسهم حينما تحدثوا ونظروا للحجاج ، بوصفه مفهوما ، وبسطوا الحديث عنه، والسبب ، انهم كانوا واعين تماما لطبيعة خطابهم وكنهه ؛ بانه خطاب حواري جدلي متجه نحو آخر يحاججه ليؤثر فيه ويقنعه ، فعلى سبيل المثال نجد أن ابن وهب (ت ١٩٧ هـ) يتحدث بوضوح عن الحجاج ويفصل القول فيه قائلا : (قول يقصد به اقامة الحجة فيما اختلف فيه المتجادلون ويستعمل في المذاهب والديانات وفي الحقوق ، والخصومات والتنصل في الاعتذارات ، وقد اجمع العلماء وذوو العقول من القدماء على تعظيم من افصح عن حجته ، وبين عن حقه واستنقاص من عجز عن أيضاً حقه ، وقصر عن القيام بحجته) (ابن وهب: ١٩٦٧: ٢٢٢) فابن وهب يركز على عدة قضأيا مهمة في مقولته عن الحجاج الذي بدا لديه مستوعبا الخطاب الأنَّساني كله ، فهو يركز على الحجة ،لا بوصفها أداة الحجاج ورسالته إلى الآخر المتلقي فحسب، بل ان التأثير والإقناع لا يتحققان الا في اقامتها وتأويلها وذلك عبر الدلائل المدعومة .

و قضية أخرى يمكن أن نقرأها في حديث ابن وهب ، هي تلك المساحة الشاسعة التي يتحرك فيها الحجاج وتشمل جميع مفأصل الحياة كما يقرر ذلك في (المذاهب والديانات وفي الحقوق والخصومات والتنصل والاعتذارات إلى آخر ذلك) مما يعني أن الحجاج حاضر في حياتنا اليومية ، وهذا يقودنا إلى ما يمكن أن نفهمه من جميع خطابه هذا ، و هو حضور البعد التداولي للحجاج ، وهو أمر غأية في الأهمية ، فوجود البعد التداولي نؤشره ضمنا في مقولة ابن وهب بشأن الفعل الاستعمالي المتضمن تشكيل الحجة واقامتها ، وهو ما يمكن تأويله بأنه يريد من ذلك ، الفعل الاستعمالي للغة .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

من هنا يكون الحجاج التداولي حاضرا بقوة في النقد القديم ، بل يمثل واحدا من بين أهم الأدوات القرائية لذلك النقد، فهو قادر على النظر إلى التاريخ والماضي وهو بقيمته التاريخية الزمنية المعتقة ، وهذا امر غأية في الأهمية ، لأنَّ (هذه القراءات المنشودة للنص التراثي تقيم أهمية للسياقات المعرفية التي الفت فيها تلك النصوص ؛ ومن ثم فإنَّها لا تسعى إلى نزعها من سياقاتها ؛ لأنَّها تعي الأهمية التي يضطلع بها السياق في تشكل دلالات النصوص وبناها) (العتيبي : ٢٠٢٠ :١٣) وهذا بالضبط شأن التداولية التي تشتغل على الخطاب التراثي من دون ان تنتشله من سياقاته التاريخية ولغته الاستعمالية الأصلية وظروفه ومقامه العام المرتبط بنشأته.

إن الخطاب الحجاجي يمكن أن نصفه بخطاب (فن التلاعب اللفظي) فبسبب هذا التلاعب اللفظي يمكنه إحداث التأثير في المتلقي السامع والقارئ معا ، فالتلاعب يمثل طريقة خاصة في الاستعمال ، وهكذا سنجد حينما نمر على خطاب الموازنات التراثية كيف استطاع الناقد التراثي أن يؤثر في القارئ باستعمال طرائق متعددة يتبعها في تشكيل حجاجه تصل أحياناً إلى أن يكتفي بالسخرية ليحتج بها من دون أن يقدم حجة او دليلا ؟ . فعلى سبيل المثال ، لا الحصر ، نجد أن الآمدي يحتج للبحتري على أبي تمام فينتقص من أحد أبيات أبي تمام في باب (كثرة العطاء) قائلا : (وحسبك بهذا قبحا وركاكة ، وكان يجب أن يتبعه بيت آخر يذكر فيه انهم هربوا لئلا يؤخذوا فيعاقبوا عقوبة قطاع الطرق ! . (الآمدي : ١٩٩٠ :١/١٥٤ . ١٥٥) فالآمدي لم يناقش بيت أبي تمام لإثبات رداءته ، ولم يقدم حججا فنية او موضوعية لتبيان ذلك الضعف فيه ، لكنه اتخذ مسلكا آخر بدا له أكثر حسما وتجاوزا لأي نقاش او جدل وهو اتباع قصد السخرية المباشرة الذي وعاه المخاطب وفهمه من قوله : (وكان يجب ان يتبعه بيت آخر يذكر فيه انهم هربوا لئلا يؤخذوا فيعاقبوا عقوبة قطاع الطرق)؛هنا يبدو فن التلاعب بعقل القارئ من قبل الناقد الموازن ، ومثل هذا الكثير ،كما سنأتي عليه في الدراسة التطبيقية .

ان عملية تحقيق التأثير مرتبطة بادراك المتلقي لقصد المؤلف ، وهذا القصد يمثل متنا مهما في فهم البعد النقدي الحجاجي ، ويؤدي دورا في توجيه الحجاج وانتصار الحجة ؛ فهو الخط الذهبي لتحقيق التوأصل بين طرفي المحاججة ؛ مبدع النص ومستقبله ،وبانعدامها أي (القصدية) لن يتمكن الحجاج من تحقيق غأياته، إذ سينقطع التوأصل لا محال ؛ بل سينتهك الخطاب تماما ، وهذا ما حقق لها تلك الأهمية البالغة في المدونة التراثية العربية .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

من هنا بدت القصدية (متنا رئيسا وعميقا في التراث النقدي العربي إذ اسبغ عليها النقاد أهمية كبرى فكان السياق التوأصلي (التداولي) هو الفضاء الاشتغالي لرؤاهم النقدية ، فما من قضية نقدية أو منزع نقدي يخلو من سياق التداول ومقامه إلى الحد الذي يمكن معه القول (بان نقدنا القديم هو نقد تداولي بامتياز بحكم الرسالة الشعرية في ضوء حيازتها لهذا البعد ، وعلى نجاحها او اخفاقها في مدى اقترابها من خلق التوأصل اللغوي والجمالي بين طرفي منتجي العلامة الباث والمتلقي) (صالح : ٢٠١٩ :٤) ولعل هذه الأهمية اللافتة للقصد في الخطاب التراثي ضمن سياقه التداولي دعت الدكتور علي عزالدين الخطيب ان يصف المقصدية ضمن سياقها التداولي بـ (بيضة القبان) وانه يراها منظومة تعمل بشكل متكامل ؛ وان القصد فيها يرتكز على الافعال اللغوية والمقاصد الخطابية وهي تكون بنى ظاهرة واعية تمثل منطقة اشتغال التداولية.(الخطيب : ٢٠٢٤ : ١٥) وبذلك تتسع دائرة الحجاج في المحيط الجغرافي التراثي ليشمل جميع خطاباته حتى الشعرية منها

المساواة : المفهوم والإجراء

لم يمارس هذا المفهوم بوصفه مصطلحا أدبيا نقديا راسخا أو قارا ، لكنه مورس إجرائيا بوصفه فهم آلية عمل تم استعارتها من علوم مجاورة ، وبشكل قد يكون عابرا وليس مقصودا لذاته ، و في مواضع مختلفة؛ وهذا ما صعب مهمة الحديث عنه نظريا من جهة ، لكن من جهة أخرى ، فإنَّ محأولة تأصيله أدبيا في هذه الدراسة سيكون نقطة مهمة تحسب لها ان شاء الله .

على وفق ذلك ، كان لابد لنا أن ننطلق من جذور اللفظ اللغوية لتبيان المستوى المفهومي للمساواة ، ومن ثم مطابقته مع الفعل الاجرائي للموازنات ، وكيفية تمثله للأبعاد الحجاجية في خطاب ابن سلام .

ضمن المعنى اللغوي لمصطلح المساواة ، يقول الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) ، في المعنى اللغوي للتسوية : (سويت الشيء فاستوى ، وقوله : في البيع لا يسوي ولا يساوى أي لا يكون هذا مع هذا من السواء ، وساويت هذا بهذا أي رفعته حتى بلغ قدره ومبلغه كما قال عز وجل (حتى إذا ساوى بين الصدفين) أي الجبلين ، والمساواة والاستواء واحد ، فأما يسوي فهي نادرة ، والسواء : وسط كل شيء ، ويقال هما على سوي من الامر، أي على سواء وتسوية واستواء) (الفراهيدي :١٩٨٧ :٢/٨٧٧ . ٨٧٨) فالمعنى اللغوي لدى الخليل يؤكد حالة رئيسة تبدو محورية في فهم

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

المصطلح وهي ان المساواة تكون بين شيئين او اشياء غير متساوية في أصلها أي (مختلفة) ولنضع خطا تحت (الاختلاف). وذكر ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) في المعنى اللغوي للتسوية : (سواء الشيء وسطه ، وضعت الشيء في سواء كمي أي في وسطه ، والسوى العدل ، والسواء في المساواة تقول : بنو فلانٍّ سواء إذا استووا في خير او شر وامرأة سواء أي قبيحة ، وفي الحديث : سواء ولد خير من حسناء عقيم) (الازدي : ١٩٨٧ : ٢٢٠/١) ، فهي تعني التساوي والتعادل مع الاختلاف ، ولا يذهب الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) بعيدا عنهما في هذا الفهم ، فيقول : (سويت المعوج فاستوى و هو سوي ،ورزقك الله تعالى ولدا سويا، لا داء به ولا عيب، وفلانٌّ يساويك في العلم) (الزمخشري : ١٩٩٨ : ٥٣٨/١) .

أما المعنى الاصطلاحي ، فإنَّه يقترب من المعنى اللغوي إلى درجة كبيرة ، فابن منظور (ت ٧١١ هـ) يجعل المساواة في علاقة تكاملية مع التماثل ، فيقول عن المساواة : (بأنها استوى الشيئان : تماثلا : والسواء : العدل ، وسواء الشيء مثله والجمع اسواء ، ومنه استوى الشيئان وتساويا ، ويقال : ساوى الشيء الشيء إذا عادله) (ابن منظور : مادة سوى و عدل) ، فحينما يتم التساوي يحدث التماثل ، كما يرى ابن منظور ، وهذا يؤكد ان المساواة لا تعني انها تجمع المتماثلين ، بل المختلفين، فلا يتماثلا حتى يتساويا ، وهو ينقل لنا رأي ابن بري (ت ٥٨٢ هـ) في الفرق بين المساواة والمماثلة معززا رأيه به ، فيرى (أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين، لأنَّ التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين، تقول: نحوه كنحوه وفقهه كفقهه ولونه كلونه وطعمه كطعمه، فإذا قيل: هو مثله على الإطلاق فمعناه أنه يسد مسده، وإذا قيل: هو مثله في كذا فهو مساو له في جهة دون جهة) (ابن منظور : ١٩٩٣/١١/ ٦١٠) وهذا يعني ان التماثل بين شيئين هو تطابقهما في كل الصفات ، اما التساوي فيمكن ان يكون تشابههما في صفة واحدة فقط أو أكثر ، لكن ، وهذا هو الأهم ، ليس في كل الصفات .

وذكر الفيروز ابادي (ت ٨١٧ هـ) أن (المساواة هي العدالة ، و استوا الشيئان وتساويا ، وساوى أحدهما صاحبه، وساوى بين شيئين ، وساويت المعوج فاستوى ، قال عز وجل ((خلقك فسواك) أي جعل خلقك على ما قضت الحكمة) (ابادي : ١٩٩٦ :٢٨٤ . ٢٨٥) فهو لا يختلف عن سابقيه في الفهم ، مثلما لا يختلف المعنى اللغوي عن المعنى الاصطلاحي ، لأنَّ المصطلح يكرس لوجود الاختلاف .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

المفهوم الاستعمالي للمساواة : الاختلاف

يأخذ مفهوم المساواة بعدا مفارقا ، لأنَّه يتأسس على بنية الاختلاف ، ففي الوقت الذي يشتغل على تحقيق التساوي ، فإنَّه لا يخبرنا ان الطرفين متكافئان، والا ، اتجه المفهوم إلى طريق أخرى هي التماثل ؛ لذا فإنَّه من الناحية الاستعمالية يشتغل على اللا تساوي ، أي المختلف . او تساوي المختلف .

جاء في القرآن الكريم : {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير} (سورة الحجرات/١٣) ، فالتقوى هنا ، تمثل قاعدة المساواة التي تجتمع عليها الشعوب والقبائل القائمة على طبيعة الاختلاف البشري ، فضلا عن الأصل البشري القائم على ثنائية الاختلاف التكوينية (الذكر \ الأنثى) ، لكنها ، أي المساواة ، لا تعني انها تلغي هذا الاختلاف ، بل انها تنشئ هوية جديدة للمختلفين ضمن دائرة اختلافهم تجمعهم فيها وهي طبقة التقوى ؛ وكذا الحال مع الأية القرآنية المباركة {فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض} (سورة ال عمران/ ١٩٥) فاستجابة الله سبحانه وتعالى قد جمعت، المختلف في طياتها ، وهما الذكر والأنثى، فالقبول متساو لكليهما .

وإلى الاتجاه ذاته ، يذهب الحديث النبوي الشريف للرسول الاكرم محمد صل الله عليه واله وسلم، حينما يجعل التقوى طبقة المساواة التي تضم المختلفين في الهيأة والشكل واللون واللغة وما إلى ذلك من متباينات الطبيعة البشرية : (لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ ، ولا لأبيضَ على أسودَ ، ولا لأسودَ على أبيضَ إلَّا بالتَّقوَى ، النَّاسُ من آدمَ ، وآدمُ من ترابٍ)(المجلسي : ١٩٨٣ : ٧٨/٣٥٠) فالمساواة ، تملك حكما للتسوية حول الاشياء المختلفة او المختلف حولها ، بل انها أكثر من ذلك ، إذ تمثل بعدا استراتيجيا تمتلك رؤيتها الواضحة لخوض مثل هذا التحدي سواء على مستوى الفكر او على مستوى البنى المختلفة وحتى على مستوى اللغة. ان هذا التصور حول المساواة لا ينطلق من منظور احادي يرتبط بقيم معينة ، بل ينطلق من فلسفة عامة استوعبت جميع المتغيرات والاختلافات والتباينات في كل زمان ومكان.

لقد جاء في موسوعة ستانفورد للفلسفة بشأن تعريف المساواة وما يشير إليه المصطلح ، فنجد أن التعريف لا يخرج عن سياق المفهوم العام للمصطلح : (المساواة او التساوي تشير إلى مفاعلة \

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

تفاعل بين عناصر مختلفة قد تكون هذه العناصر أشخاصا او عمليات او ظروفا تحمل سمات متماثلة في جانب واحد على الاقل لكن ليس في الجوانب كافة أي انها عناصر مختلفة في العموم لكنها متماثلة في بعض الاجزاء) (جوزباث :٢٠١٧ : ٥) ، فالتعريف يطرح الثنائية ذاتها (المساواة \ التماثل) بعدها انها علاقة الجزء بالكل ان جاز لنا وصفها (الاشتراك في جانب على الاقل) وتنفي الاشتراك حد التطابق ،فـ (المساواة تعني قدرا من التماثل وليس المطابقة) (جوزباث : ٢٠١٧ : ٦:)

لقد أشار جيل دولوز الكاتب والفيلسوف الغربي إلى قضية المساواة ،ضمنا ، في كتابه الفلسفي المهم (الاختلاف والتكرار) ، فالعنوان يرتكز على ثنائية ضدية تمثل تفسيرا لرؤية العالم القائم على هذا التناقض الحتمي لتحقيق التوأصل والاستمرار ، فإذا كانت حتمية التناقض قائمة، فإنَّ في وجهها الآخر تتمثل الديمومة والاستمرار ؛ وهي رسالة أن العالم والحياة والكون بمجمله قائم على الاختلاف المتكرر الذي لا ينتهي ، وأيضاً بأنه تكرار لا يتماثل و لا يتطابق ، يقول : (ليس التكرار العمومية ويجب ان يتميز التكرار عن العمومية بطرق كثيرة ، فكل طريقة تتضمن اختلاطهما هي طريقة سيئة) (دولوز : ٢٠٠٩ : ٤٥) فالتمايز يعني إقصاء التماثل الذي يحققه التكرار في استنساخه للأشياء والمواقف ،ويبدو عنصرا سلبيا يكمن إخضاعه إلى فلسفة الشمولية المتساوية عبر مفهوم العمومية التي تجعل التكرار مقبولا بهيأته وشكله من دون تكييفه للتشابهات ، فالعمومية كما يراها دولوز تقدم (نظامين كبيرين هما نظام التشابهات النوعي ونظام التعادلات الكمي) (دولوز : ٢٠٠٩ : ٤٥) وهو بذلك يؤشر التناقض بين التشابهات التي تعني التطابق في القيم المتعددة كلها بين مادة ومادة أو إنسان وآخر ، في حين أن النظام الكمي سيكون قابلا للاختلاف ، أي إنه قابل للتعادل ، ثم تتضح أكثر صورة المساواة حينما يطرح تساؤلا فلسفيا منطقيا يبدو بسيطا في ظاهره ، إلا أنَّه يحمل تفسيرات للحياة والكون بمجملها ، يقول : (ألا يمكننا أن نتصور اتفاقا بين التمثل ووحدة المعنى ؟ لأنَّه إذا كان الوجود وحيد المعنى في ذاته بما هو وجود اليس متماثلا ما ان نأخذه في إنماطه الفردية وعوامله المفردنة (..) إذا كان متساويا في ذاته اليس لا متساويا في النمطيات التي تمكث فيه؟) (دولوز : ٢٠٠٩ :١١٠) فالسؤال يشتغل على قضيتين ، الأولى خارجية عامة تشتغل على تحقيق التماثل والتطابق بين (وحدة معنى الوجود) وبين (التماثل) فوحدة المعنى تمثل صورة منطبقة على المعنى متكاملة متماثلة في شكلها العام ، إلا أنَّها تتشكل من نمطيات هي المسؤولة عن تقديم شكلها العام الراسخ المتماثل ظاهريا عبر وحدة هذا المعنى ، وان هذه النمطيات التي تمكث فيه وتكونه لن تكون متساوية بل متباينة ومختلفة فيما بينها وبذلك يكون التساوي هو طرف

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

في معادلة حركة ديمومة العالم لأنَّه القادر على تحقيق ائتلاف يجمع الاختلاف في طياته وبنيته . هنا تكون المساواة قراءة قائمة على الاختلاف والتباين .

استراتيجيا التأطير ومحورية الاختلاف

تمثل استراتيجيا التأطير واحدة من بين الاستراتيجيات التي تعتمد على اللغة وتشكلاتها للسيطرة على الجمهور أو المتلقي لجذب اهتمامه حول قضايا يريد الباث ان يفرضها عليه فيقوم بتوظيف عدد من امكانات اللغة لتحقيق تلك المقصدية ، وأيضاً تضليله عن قضايا أخرى وجعلها ثانوية ، لذلك نجد أن الخطاب الحجاجي يتسلح بالكثير من الاستراتيجيات لتحقيق أهدافه ومقاصده ، فمفهوم استراتيجيات الإقناع الحجاجية يبتعد بنا عن المفهوم الدقيق والضيق للحجة ، الذي يرى ان الحجة هي الآراء في حد ذاتها؛ ان من يتبنى هذا المفهوم للحجة ينطلق من ان الحجة مقنعة في ذاتها ، وهذه النظرة تغفل سياق الأنَّتاج والتلقي .(ينظر : العتيبي : ٢٠٢٠ : ١٩) وهذا يعني أن الحجة غير كافية لتحقيق الغاية من استدعائها وهي تحقيق الإقناع إن لم تتموضع ضمن فكر استراتيجي يعيد إنتاجها ويقدمها طاقة ذات تأثير تعمل على استمالة المتلقي ، وهذا يقع على عاتق اللغة التي أولي اليها دور كبير في بناء الحجة وتقديمها ومن ثم الإقناع بما تطرحه بنية النص نفسها ، وعلى وفق التداولية المدمجة التي تسعى إلى (حصر الجوانب التداولية في اللغة ذاتها وأيضاً حصر الحجاج داخل ابنية اللغة) (عبيد : ٢٠٢٠ : ١٤) و على وفق هذا التصور الدلالي (فإنَّ مهمة اللغة ليست الاخبار فقط ، فهي ليست مرصودة لوصف الاشياء وتمثيل الواقع فحسب ولكنها تحقق اعمالا لغوية أي انها ذات قوة انجازية تحدد مواقف وتعين حالات ومقصديات) (عبد اللطيف : ٢٠١٣ : ٩٦) وهذا يعني ان اللغة شريك اساس في بناء الحجة ،لكن ليس بالنقل فقط ، بل بالصياغة والاسلوب الذي يضاعف من قوتها الأنَّجازية ،ومن ثم تؤثر في ذهنية المتلقي لأجل إقناعه ، من هنا يرى بيرلمان (أن إذعان العقول بالتصديق لما يطرحه المرسل أو العمل على زيادة الإذعان هو الغاية من كل حجاج ، فإنَّجع حجة هي تلك التي تنجح في تقوية حدة الإذعان عمن يسمعها) (الشهري : ٢٠٠٤ : ٤٥٦ . ٤٥٧) .

من بين تلك الاستراتيجيات المهمة التي تشتغل على تحقيق إذعان مؤثر و منتج لدى المتلقي هي استراتيجيا (التأطير) التي تسعى إلى رسم ملامح بناء الحجة من جهة ، وأيضاً منحها طاقة إقناعية من جهة أخرى ، ويرى الناقد الغربي فيلب بروتون أن استراتيجية التأطير تقوم (على عرض الوقائع

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

من جهة نظر محددة ويكون ذلك عبر تفخيم بعض المظاهر او تهوين مظاهر أخرى من اجل استخلاص شرعية الرأي) (بروتون : ٢٠١٣ : ٦١) فهو اسلوب عرض لتلك الوقائع ولكن عبر إخراجها إخراجا جديدا يسلط عليها الضوء ، بعدها بنية محورية أو عدها مركز تأثير ، وهذا بالتأكيد سوف يكون مرتبطا بطريقة تشكيل اللغة التي سوف تكون بارعة بتقديم الحيل الممكنة لإظهار تلك الصورة الجديدة لتلك الوقائع ، وبالوقت نفسه تعمل على تقليل أهمية وقائع أخرى بحسب المواقف والغأيات ، لذلك (غالبا ما يتميز التأطير في الواقع بكونه يتعلق بالوصف الذي يلح على بعض المظاهر ويجانب أخرى) (بروتون : ٢٠١٣ : ٦١).

لقد ارتكز كتاب العمدة في موازناته على اشكالية محورية تمثلت (بالاختلاف) الذي بدا ركنا رئيسا مهما في خطابه النقدي ، إذ حأول ابن رشيق تسليط الضوء على هذه الإشكالية واظهارها بوصفها الثقل البنيوي الاستراتيجي في تشكيل نمط او مستوى من الموازنات القائم على المفاضلات الجماعية وليس الفردية تمثل بمستوى (المساواة) ، فضلا عن منح خطاب الموازنات طابعا حجاجيا على وفق ما يتمثله الاختلاف من الحيثيات التي تعلق منها بالشعر نفسه ، ومنها تعلقه بما هو خارج حدوده ، فضلا عما تفرضه الذائقة العرفية والأهواء والميول من تأثيرات أخرى . فهذه المبررات كلها أسهمت في أن تكون عارضا ومانعا كبيرا في إطلاق صفة الأفضل والأشعر والأشهر بين الشعراء ، فكان لابد من إيجاد رؤية قادرة على التصنيف تراعي هذه الاختلافات في الأهواء .

إن المساواة تمثل رؤية تصنيفية عددية وليست فردية تضع عددا من الشعراء في رتبة الأفضل وليس شاعرا واحدا ، وهذا يعني انها نسفت تماما طريقة ام جندب وما شابهها من الموازنات التي تصطلح عليها الباحثة بـ(الموازنات المباشرة) ، والركون ، بدلا من ذلك ، إلى الموازنات الجامعة العددية .

مستوى المساواة في كتاب العمدة

لا يمكن ان نعد كتاب العمدة كتابا خاصا بالموازنات النقدية بين الشعراء ، لأنَّ الموازنات لم تظهر سوى في ابواب ثلاثة في كتابه الذي تجاوز المئة باب ، فهو كتاب في الادب وتصنيفاته وابوابه وما يتعلق به ، والموازنات واحدة من تلك المقصديات التي سعى ابن رشيق للخوض فيها في بعض مفأصل الكتاب .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

و لابد ان نفهم ونحن نتصدى لموازنات ابن رشيق في كتاب العمدة ، المرحلة الزمنية التي الف فيها هذا الكتاب ، إذ شهدت استقرارا أدبيا انعكس على طبيعة التأليف والفكر بشكله العام والنقد بشكل خاص ، فما كانت تمثله من اشكاليات يدور الخلاف بشأنها ،في زمن ابن سلام وابن قتيبة وقدامة ،وقبلهم الاصمعي، حتى اصبحت قضأيا مرجعية راسخة استقر القول فيها تقريبا ، في زمن القيرواني ، وصار الشعر المولد حالة واقعية لا يمكن اثارة الجدل بشأنها ، والسبب ان شعراء ظهروا ملأوا الدنيا وشغلوها ، فذاع صيتهم وبدت شهرتهم تتحدى الماضي الخالد وتناطح رموزه الشعرية في اقل تقدير ؛ وهذا قد انعكس على المساواة كإجراء تصنيفي للشعراء إذ امتدت حدوده واتسع محيط دائرته ليشمل الماضي الجاهلي والماضي الإسلامي والماضي القريب المحدث والحاضر المولد ، وصار الصراع يأخذ اشكالا جديدة ومعايير أخرى فضلا عن إنتاج معايير جديدة تتلاءم مع طبيعة العصر وتنوع مرجعياته الأدبية والشعرية حتى انتج لنا قارئا ضمنيا جديدا يحمل جينات العصر الجديد لكن تظل عينه على الاسلاف ويظل محكوما بالكثير من قيمهم ، ((ولعل أول ما يطالب به (المتقبل الضمني)) هو أن تكون اللغة . مهما سمت درجة الابتكار فيها ـ مشدودة إلى ما تدل عليه في أصل الوضع شدا) (المبخوت : ١٩٩٣ : ٢٦) ، وهنا تكمن اشكالية الموازنات عند ابن رشيق كما سنرى ، لذا سنجد ان خطابه التصنيفي للشعراء سيقدم لنا شكلا آخر من اشكال المساواة القائم على مبدأ (الشهرة) او (الاشتهار) ليكون هو المستوى الذي يحقق المساواة بين عدد من الشعراء كما سنأتي على ذلك لاحقا .

الشهرة او الاشتهار ضمن مستوى المساواة

قد نظر ابن رشيق إلى الشعراء ضمن مراحلهم الزمنية المختلفة فوجد ان قسما منهم اخذ مساحة من الشهرة والذيوع طغت على شعراء آخرين مجأيلين لهم أو من سبقوهم ، ومنهم تابعين لهم ، وهؤلاء الشعراء قد احتفظ التاريخ بذكرهم وحظوا فيه بمنزلة رفيعة وصار شعرهم وحياتهم محورا للنقد والمساجلات والموازنات ، فبدت صفة (الاشتهار او الشهرة) مزية لهؤلاء الشعراء تحققت نتيجة لمكانتهم الشعرية وربما لقضايا تعلقت بهم كشعراء أو غير ذلك ، وأن هذه الشهرة مثلت دائرة كبيرة ضمت جميع المشهورين الذين بدوا متساوين ومتشابهين في هذه القيمة حسب، فإذا كان الأصمعي وابن سلام قد اختارا عينتهما من الشعراء الفحول حصرا ، فإنَّ ابن رشيق قد قدم موازناته وتصنيفاته على وفق معيار هو (الشهرة) ، وان دائرة شعرائه هم المشهورون فقد استطاع ان يقدم لنا ثلاث

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

طبقات شعرية خضعت لهذا المعيار إلا أنَّ مصادر الشهرة فيها بدت متنوعة ، فلم تكن متشابهة ، وهذا يمنح المصطلح بعدا دلاليا واسعا حينما يشتغل في النقد والموازنات كما سنأتي على ذلك ، فكل طبقة جاءت الشهرة فيها مرتبطة بعناصر وقيم حجاجية معينة ، لا سيما الطبقة الأولى التي ، وان ضمت شخصيات لهم أشعار مشهورة لكن لم تكن وظيفتهم الشعر ، وليس لهم صلة بها من قريب ولا من بعيد ، سوى القاء بعض الأشعار في عدد من المناسبات ، إلا أنَّنا من اجل تقديم تصور متكامل بشأن تصنيفات القيرواني وموازناته ارتأينا زجها في الدراسة ، ولو صنفنا تلك الطبقات سنجدها عبارة عن ثلاث طبقات شعرية رئيسة تشكلت على وفق شهرة اصحابها ، فكانت الشهرة هي المستوى الذي مثل حالة المساواة او الموازاة بين شعرائها :

الطبقة الأولى : تمثلت في باب أشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء .

الطبقة الثانية : تمثلت في باب المشاهير من الشعراء .

الطبقة الثالثة : تمثلت في باب المقلين من الشعراء والمغلبين .

واضح ، أن الطبقة الأولى تختلف تماما عن الطبقتين الثانية والثالثة ، فهما مرتبطتان بشكل مباشر بالشعراء الذين عرفوا بالشعر ، فكانت هي مهنتهم الرئيسة ، في حين نجد ان الطبقة الأولى اشرت لنا شخصيات لم تكن مهمتها وصفتها مرتبطة بالشعر ولا هي اشتهرت به ، بل هي شخصيات دينية ورسمية في الدولة الإسلامية ، وان شهرتها جاءت من هذا التوصيف المهني ، والاجتماعي والسياسي ، وهو الذي جعل منها شخصيات متساوية في هذه المزية غير الشعرية.

و لم يتحدث ابن رشيق بشكل مباشر عن مفهوم الشهرة في كتابه العمدة سوى في إشارة واحدة في باب المشاهير من الشعراء ، تاركا استنباط الفهم للقارئ من خلال الممارسات التطبيقية التي أجراها عند تصنيفه للشعراء ، إذ قال ابن رشيق : (والاشتهار بالشعر اقسام وحدود ولولا ذلك لم يكن نصر بن احمد الخبزأرزي اشهر من منصور النمري وكلثوم العتأبي وأبي يعقوب الخزيمي وأبي سعيد المخزومي)(القيرواني :١٩٠٧ : ١/ ٦٤) فالقارئ يفهم من هذا النص أن الاشتهار يمثل قيمة إضافية للشعر تجعل منه معيارا حقيقيا وقاعدة حجاجية يؤسس عليها في موازناته ، وهذا يتضح في تفصيل عملها الاجرائي من خلال وجود اقسام وحدود لها ، ثم يعطي شاهدا على أهمية تلك التقسيمات من خلال شهرة الشاعر نصر التي جعلته يتقدم على عدد من الشعراء ، فلفظ (لولا) تفسر

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

لنا بعدها النقدي الموضوعي والحجاجي ؛على وفق ذلك ستكون (الشهرة) معيارا حجاجيا يمثل مواضع كيفية وكمية في الوقت ذاته ،وسيكون محور الموازنات في الكتاب.

أولا : حجاج المساواة في باب : (أشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء) .

كما أشرنا ان هذا الباب في كتاب العمدة يتحدث عن طبقة من الشعراء الذين لا يمارسون الشعر كمهنة ، فهم ليسوا شعراء ، ولم يعرفوا بذلك بل كانت تجمعهم صفات أخرى ارتبطت شهرتهم بها كما سنرى ، ولذا بدوا متساوين في قضية عدم امتهان الشعر فضلا عن تساويهم في صفات وسمات أخرى كانت هي مصدر شهرتهم .

سلطة الشهرة الحجاجية وتشكيل القيم الهرمية .

في هذا الباب من الكتاب (باب أشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء) إذ يميز عنوانه الشعر من المهنة وارتباطها بالبعد المعنوي للشخصيات (أشعار : خلفاء ، قضاة ، فقهاء) وهذا يعني ان معيار الشهرة وسلطته الحجاجية سيكون مرتبطا بالمستوى المهني : (خليفة \ قاضي \ فقيه) وهذا يقتضي تصورات جديدة للتفاضل والتصنيف بينهم إذ سوف نخضع لقيم حجاجية أخرى تتعلق بالأبعاد المرجعية اللاشعرية واللا أدبية لهؤلاء الشخصيات ، ومن ثم تصبح المهنة هي المستوى الذي يتساوى فيه هؤلاء ، فمن هنا نجد ارتباط الشهرة بالعامل الديني والسياسي والمهني ،فهذه العوامل التي ارتبطت بالشخصيات هي التي اعطت للشهرة قيمتها الحجاجية وقوتها الإقناعية العالية جدا ،(هذا باب لو تقصيته لاحتمل كتابا مفردا ولكني طبقت المفصل واحتملت بعض المشاهير من الناس) (القيرواني ١٩٠٧: ١/ ١٩) فنجد ان ابن رشيق يتمثل المشهور من الشخصيات وليس جميعهم ؛ فقارئه الضمني هنا ليس اديبا وليس متخصصا في الشعر بل هو ينتمي إلى طبقة المجتمع التي تنظر إلى هذه الاسماء نظرة تقيمية خاصة .

إن الشهرة في هذه الطبقة لم ترتبط بمعايير شعرية وأدبية (مواضع كيفية أو كمية) بل بمعايير أخرى أنتجتها سلطة المهنة المرتبطة بالقيم المتعالية في المجتمع التي تمتلك بعدا تراتبيا هرميا مثلتها القيم الهرمية المحسوسة التي ارتبطت بالبعد المعنوي للشخصيات لشهرتها التاريخية والدينية والسياسية ودورها في المجتمع ، وتعني هذا القيم الهرمية التي سيكون عليها (مدار الحجاج بكل ضروبه وهي لئن خلت منها الاستدلالات ذات البعد العلمي والعلوم الشكلية(..) فإنَّها تمثل بالنسبة

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

إلى مجالات القانون والسياسة والفلسفة غذاء اساسيا) (صولة : ١٩٩٩ : ٣١٠) وهي تنقسم على قسمين ، هما القيم المجردة كالعدل والشجاعة وقسم آخر هو القيم المحسوسة كالدينية والعاطفية للشخصيات المختارة في هذه الطبقة التي تمخضت عن ثلاث طبقات أخرى تنقسم عن الطبقة الرئيسة ، وجاء هذا التقسيم على وفق سلطة رتبية ارتبطت بالمهن المتعلقة بالشخصيات التي قالت الشعر ، ونجد أنها خضعت إلى تصنيف مهني إداري ضمن دائرة الدين المتمثل بالخلافة وما من هنا نجد أنَّ الشهرة قد امتلكت سلطة إقناعية أفرزت لنا بناء هرميا حجاجيا تصنيفيا يتعلق بها ، فيبدأ ابن رشيق من المهنة الأعلى ، ثم الأقل ، ثم الأدنى ، وقد جاءت بالشكل الآتي :

الطبقة الأولى : حجية الشهرة المهنية ، أشعار الخلفاء :

قبل الخوض في التصنيفات نشير إلى قضية تتعلق بهذا الباب ، وهي أن ابن رشيق لا يتعامل مع شخصيات شعرية بل يستعمل مصطلح (أشعار) فهو يحيل إلى الأشعار وليس إلى الشخصيات وهذا دليل على أن هؤلاء ليسوا بشعراء ولكنهم قالوا الشعر ربما في مناسبات مختلفة .

إن أشعار هذه الشخصيات ، ضمن هذه الطبقة قد حظيت بأعلى رتبة ومنزلة بين أقرانها من الطبقتين التاليتين فهؤلاء هم الأكثر شهرة والأكثر امتلاكا للسلطة من الناحية الدينية والسياسية وحتى الاجتماعية ؛ جمعتهم هذه السمات فبدوا متساوين فيما بينهم من حيث شهرة المهنة وهي الخلافة الدينية ، لكنهم داخل طبقتهم يخضعون لسلم تراتبي آخر للتفضيل بينهم . وقد جاء ترتيبهم داخل الطبقة الواحدة على وفق معايير تمتلك طابعا حجاجيا ينتمي للحجج شبه المنطقية التي تكون أقرب إلى الحقائق لا سيما مع شخصيات الخلفاء الاربع نظرا حجية الطابع الديني واجماع الامة . وهذه الشخصيات حسب الترتيب :

الخلفاء الاربعة ، (خضعوا لترتيب تاريخي ديني) بحسب منظور معين ، وهم : أبو بكر و عمر وعثمان والإمام علي عليه السلام، ثم الإمام الحسن عليه السلام ثم معاوية ثم يزيد ثم الإمام الحسين عليه السلام ثم ذكر ال عبد المطلب بانهم اصحاب شعر فذكر الحمزة ثم العباس بن عبد المطلب ثم عبد الله بن عباس ثم جعفر بن أبي طالب ثم ابا سفيان بن الحارث وذكر انه لن يذكر لأبي طالب مع انه في طبقات ابن سلام موجود وذكر عبد الله بن عبد المطلب ثم فاطمة الزهراء ع ثم عمر بن عبد العزيز ختمها بعبد الله بن الزبير . (ينظر : القيرواني : ١٩٠٧ : ١٢/١ وما بعدها) .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

ونرى أن ابن رشيق بهذا التجميع للشخصيات الذي تجاوز فيه اعدادهم على شخصيات الخلفاء الأربعة ، قد خضع إلى منظور تاريخي واحد ، ولم يشر إلى الاختلاف في الرؤى بشأن البناء الهرمي التراتبي الذي تبناه ، كما نرى أيضاً ، أنَّ ابن رشيق قد ضم من الشخصيات ما لا يتجانس من حيث القيمة والشهرة الدينية مع شخصيات مثل الخلفاء وال البيت عليهم السلام ، فخلط بين ما هو ديني وبين ما هو اجتماعي في مقام واحد ، فكان عليه ان يجعل الخلفاء وآل البيت ع في طبقة خاصة على أقل تقدير ، ثم طبقة أخرى للشخصيات الأخرى ، وبذا يكون ابن رشيق قد تبنى منظورا معياريا لم يحقق الإقناع لمتلقيه بسبب هذا التداخل بين قيم الشخصيات .

الطبقة الثانية : حجية الشهرة المهنية ، أشعار القضاة .

إن ابن رشيق يراعي تماما قارئه الضمني المهني وليس الشعري فيضع القضاة الذين يحكمون بأمر الله والدين في طبقة ثانية تلي الخلفاء ، فيختار المشهورين منهم الذين جعلتهم الشهرة متساوين بينهم : (وحسبك من القضاة شريح بن الحارث كان شاعرا مجودا وقد استقضاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه .... فهذا شريح وهلم جرا إلى حيث شئت) (القيرواني : ١٩٠٧ : ١/ ١٧ . ١٨) فهذه العبارة (هلم جرا) لا تكسر معيار الشهرة إلى باب مفتوح للجميع ، بل انها توسع هذا الباب لدخول المشهورين فقط من القضاة الشعراء ، كما انها تمثل فعلا كلاميا استطاع ان يؤشر لنا البعد الحجاجي للمساواة بعد ان الداخلين في (هلم جرا) متساوون ويستحقون الذكر، وان الاكتفاء بذكر اسم قاض واحد هو (شريح) وليس أكثر من ذلك ، لا ينفي ضعف الشهرة عن الآخرين ؛ إنما يؤكد قيمة شهرة الآخرين وتساويهم ، مع الاحتفاظ بأفضلية شريح عليهم لشهرته الاكبر التي صرح بها ابن رشيق.

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

الطبقة الثالثة : حجية الشهرة المهنية ،أشعار الفقهاء :

فهم يمثلون الطبقة الثالثة في العرف الإداري والديني والاجتماعي ، وعلى وفق ذلك يمنحهم ابن رشيق هذه الرتبة الثالثة ،فهم مجموعة مشهورة من رجالات الدين والفقه، ويشكلون طبقة متساوية من حيث شهرتهم كأفراد ، مما منح شعرهم اهتماما ، فيذكر القيرواني سبع شخصيات قال عنهم : (وهم فقهاء المدينة وأصحاب الرأي الذين هم عليهم المدار) (القيرواني : ١٩٠٧ :١١ ١٨) فهؤلاء الفقهاء

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

السبعة بدوا طبقة واحدة متساوية جمعتهم شهرتهم المتحققة من قيمة دورهم و حضورهم في المجتمع (اصحاب الرأي \ عليهم المدار) .

ثانيا : حجاج المساواة في باب (المشاهير من الشعراء) .

الشهرة تساوي عمود المساواة .

حينما ندخل في هذا الباب والباب الذي يليه نكون في صلب الشعر والشعراء ، فنحن في الطبقة السابقة لم نجد ابن رشيق يتطرق إلى أية قيمة أدبية تتعلق بالشعر، بل تحدث عما يتعلق بالشخصيات ومهنتها ودورها في المجتمع وارتباط شهرتها بهذا الدور ؛في حين سيختلف الامر تماما في هذين البأبين كما سنأتي على ذلك ، وان مفهوم الشهرة سيتغير تبعا لذلك أيضاً حتى القارئ الضمني سيكون قارئا آخر يمثل محيطه الأدبي ويستجيب لمؤشراته الخاصة عكس القارئ الضمني المهني في الباب السابق ،ونرى ان معيار الشهرة في باب (المشاهير من الشعراء) والباب الذي يليه ، قد بدا أكثر وضوحا في اشتغاله النقدي ضمن عملية الموازنة وتصنيف الشعراء مما سبق ، والسبب كما نذهب اليه ، اننا بدأنا نتعامل مع جوهر الشعر ، فصرنا أكثر اقترابا منه ، ومن آراء اهل النقد والعلم به ؛ وعلى وفق ذلك ، فإنَّ الشعراء الداخلين ضمن دائرة الشهرة ، بدوا متساوين خاضعين لمبدأ المساواة او الموازاة فيما بينهم وذلك لتمثل الشهرة للقيم الشعرية لعمود المساواة ومعاييره ، كما سنأتي على ذلك . وهي من هنا تصبح الشهرة مزية أدبية حالها حال (الفحولة) عند الاصمعي وابن سلام .

الشهرة : البديل الحجاجي للفحولة عند ابن رشيق .

أقر ابن رشيق فرضية حجاجية أسس عليها بناء حجية الشهرة لديه ، وتمثلت في قوله: (والاشتهار بالشعر اقسام وحدود ولولا ذلك لم يكن نصر بن احمد الخبزرزي اشهر من منصور النمري وكلثوم العتأبي وأبي يعقوب الخزيمي وأبي سعيد المخزومي) (القيرواني : ١٩٠٧ :١١\ ٦٤) فهو يضع للشهرة اقساما وحدودا بدت من خلالها تمثل اطروحة خاصة في التصنيف والموازنة، مانحا أياها قيمة حجاجية يسعى من خلالها إلى التأثير على متلقيه و إقناعه ، فهي من هنا تبدو مساوية لمفهوم الفحولة لدى الاصمعي حينما قال بانها مزية تضاف إلى الشعراء ،وهي كذلك فعلا تمثل مزية خاصة قد تزاحم معايير أخرى قارة نقديا كالجودة والقلة والكثرة ؛ وعلى وفق هذا الفهم

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

تحولت إلى قيمة حجاجية في عملية التصنيف لدى ابن رشيق : (والشعراء أكثر من ان يحاط بهم عددا ومنهم مشاهير قد طارت اسماؤهم وسار شعرهم وكثر ذكرهم حتى غلبوا على سائر من كان في ازمانهم) (القيرواني : ١٩٠٧ :١١ ٥٩) فهذه العبارات لو قارناها بخطابات الاصمعي وابن سلام ، سنجدها لا تبتعد عن مفهوم الفحولة، بل تتشابه معه إلى حدود بعيدة ، فهناك شعراء كثر إلا أنَّ المشهورين يمتلكون عدة شرائط لكي يمتلكوا هذه الصفة المهمة :

١. طارت أسماؤهم ، ٢ . سار شعرهم ، ٣ . : كثر ذكرهم ، ٤ . غلبوا على سائر الشعراء.

ولو طابقنا هذه الصفات والمعايير نجدها تتساوى مع معايير الفحولة . من هنا تكون المعادلة الآتية :

الشهرة = المساواة

الفحولة = المساواة

الشهرة = الفحولة .

لقد انطلق ابن رشيق من خلال هذا الفهم للشهرة في عمله النقدي التصنيفي ، مرتكزا على عدة منطلقات حجاجية مهمة اسهمت في منحه سلطة الترتيب والتصنيف للشعراء ، وهي جميعا متعلقة بمستوى المساواة ومؤدية اليه . وهذه المنطلقات الحجاجية تتمثل بما يأتي :

١ . مثل معيار الشهرة لدى ابن رشيق قيمة حجاجية إقناعية تجمع بين المواضع الكيفية والمواضع الكمية ، وهي التي استندت إليها موازنات الأصمعي وابن سلام ، إذ إن هؤلاء الشعراء غلبوا شعراء آخرين لشهرتهم التي خيمت على سواهم .

٢ . مثل مفهوم (الشهرة) في كتاب العمدة منظورا جمعيا لا يتعلق بشاعر واحد هو الأشهر ، بل منظورا يضم المشهورين الذين لم يتحقق الاتفاق على أكثرهم شهرة أو أشعرية أحدهم على الآخر للأسباب التي أشرنا إليها من اختلاف القبائل وتعصبها وعدم إجماعها على الشاعر الأشعر : (ولكل أحد منهم طائفة تفضله وتتعصب له وقل ما يجتمع على واحد إلا ما روي عن النبي صل الله عليه وآله وسلم في امرئ القيس انه أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار يعني شعراء الجاهلية والمشركين... قال دعبل بن علي الخزاعي لا يقود قوما إلا أميرهم) (القيرواني : ١٩٠٧ :١١ ٥٩)

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

٣ . بدا معيار الشهرة لدى ابن رشيق يزاحم معايير قارة مثل الجودة في حجيتها ؛ فهو يسوق رأيا للحطيئة يفضل فيه ابا دؤاد على امرئ القيس وعلى شعراء الجاهلية فيعلق ابن رشيق : (فهو وان كان فحلا قديما وكان امرؤ القيس يتوكأ عليه ويروى شعره فلم يقل فيه احد من النقاد مقالة الحطيئة هذه) (القيرواني : ١٩٠٧ :١١ ٦١) فأبو دؤاد فحل وهو أقدم من امرئ القيس ، وامرؤ القيس يتوكأ عليه ويروي له مع ذلك ان شهرة امرئ القيس طغت عليه وعلى الآخرين من الجاهليين، مع ان الحطيئة شاعر يمثل حجة في رأيه . كما يسوق ابن رشيق رواية أخرى عن أبي اسحاق ، وهو يعد عالما بالشعر مختصا به كما يصفه القيرواني بشأن أرجحية الشهرة على الجودة قال فيها (أشعر الجاهلية مرقش وأشعر الإسلاميين كثير وهذا غلو مفرط) (القيرواني :١٩٠٧ :٦٢١١) فهنا تتقاطع الجودة مع الشهرة، لأنَّ هذين الشاعرين مع مكانتهما ، إلا أنَّ هناك من هو أكثر شهرة منهما ، ولذلك تم رفض هذا الرأي وعده غلوا لعدم تطابقه مع الشهرة .

٤ . كما فاق معيار الشهرة حجية الاقدمية والأسبقية في السن، فيأتي ابن رشيق بشواهد على غلبة شهرة شعراء على آخرين على الرغم من جودتهم وتقدمهم في السن مع إنهم من المشهورين إلا أنَّ الشهرة تخضع للتزاحم ، فهناك المشهور وهناك الاشهر، لذا فإنَّ شهرة هؤلاء غطت عليهم، من ذلك، طبيعة العلاقة بين ديك الجن الدمشقي وأبي تمام ، فديك الجن وهو شاعر الشام لم يذكر مع أبي تمام الا مجازا وهو اقدم منه وقد كان ابو تمام قد اخذ عنه امثلة من شعره احتذى عليها فسرقها ، وكذا الحال بين دعبل وهو شاعر مشهور وأكبر سنا من أبي تمام إلا أنَّ شهرة أبي تمام قد غطته ، والحال ذاته مع ابن الرومي وابن المعتز فقد طغت شهرتهما على من كان معهما في زمنهما؛ أما أبو الطيب فلم يذكر معه شاعر إلا ابو فراس وحده ولولا مكانه من السلطان، كما يرى القيرواني لأخفاه ، وإن الصنوبري و الخبزأرزي كانا أكبر من المتنبي سنا مع جودة شعر الصنوبري إلا أنَّ شهرة المتنبي طغت عليهما . (ينظر : القيرواني : ١٩٠٧ :١١ ٦٤)

وعلى وفق هذه المنطلقات الحجاجية مارس ابن رشيق موازناته وتصنيفاته للشعراء ضمن أطر عامة وأخرى خاصة جميعها تشكلت على وفق معيار الشهرة الذي أنتج لنا تصورات ساوت في قيمة عدد من الشعراء فشكلوا من خلالها طبقات شعرية اختلفت معايير تشكلها عن طبقات القرن الثاني الهجري لابن سلام والاصمعي قبله .وبذلك استطاع ابن رشيق ان يكسر هيمنة العصر وارتباط الفحولة بالأقدم الجاهلي ومن بعده الإسلامي لتكون الشهرة حجة نقدية لتوسيع دائرة معيار الفحولة

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

الحجاجي و الشعرية ، لتشمل اضافة إلى الجاهلي والإسلامي الشاعر المولد أيضاً ولكن ضمن تصور حجاجي جديد ليس الفحولة بل (الشهرة) .وهو بذلك يكون قد حفظ حق المتأخرين من الشعراء بامتلاك سمة الشهرة والفحولة حالهم حال من سبقهم لأسباب وقف عندها أثناء حديثه عن القديم والمحدث .

وقد استند ابن رشيق إلى وقائع حجاجية استدل بها على تغيير الخارطة الذوقية التي كانت مقتصرة على الجاهلي وعموده الجمالي وحتى الشعر الإسلامي وتشكيل عمود جديد تتشكل معاييره من خلال معيار الشهرة يمكن أن نصطلح عليه بـ (عمود الشهرة أو الاشتهار) وهو عمود يتجاوز العصرين الجاهلي والإسلامي بأحكامه ومعاييره ومن خلال ذلك حأول القيرواني أن يوسع دائرة الفحولة بعد أن ربطها (بالشهرة) التي هي نتاج الشعرية بلا شك ؛ فضلاً عن فروض أخرى وأن يجعل مساحتها تتعدى حدود الزمن الأول ، وأعني العصر الجاهلي والزمن الثاني ، وأعني به العصر الإسلامي ، لتصبح الشهرة مرتبطة بمعايير أخرى تجعلها تنفلت من حبال عصر معين ، بل على وفق شروط أخرى ضمها جميعا تحت هذا المفهوم (الشهرة) وهذه القضية تبدو معقدة للغاية وليست سهلة تتطلب قارئا قادرا على تجاوز الفكر السلفي وطرائق تفكيره، لذا يرى شكري المبخوت ان الشعر المحدث (يتطلب من قارئه تغييب ذاكرته التي يقرأ بها النصوص نسبيا لأنَّ الذاكرة هي الالفة والعادة والاستعداد إلى ان يخترق النص افق انتظاره اختراقا حتى يخيب توقعه فيغنم من تلك الخيبة ما يثري به تجربته الجمالية) (المبخوت : ١٩٩٣ : ١٢١) وقد وجدنا في القيرواني هذا الاستعداد لتحمل خوض غمار تجربة الانفلات من قيود العمود الشعري والذاكرة السلفية والتوجه لفكر نقدي مغاير يتلاءم مع طبيعة العصر ، وقد ألقى كل هذه المسؤولية على عاتق معياره الحجاجي الجديد (الشهرة) ، لذا نجده يقف عند محطة الجدل النقدي بين القديم والمحدث، فجعل له بابا خاصا سبق به باب الشعراء المشاهير لعلاقته به اسماه (في القدماء والمحدثين) منطلقا لإثبات أطروحته التي ينتصر فيها للشعر المولد مع احتفاظه بكل الاحترام لقيمة الماضي وشعرائه .

وقد نظر ابن رشيق إلى قارئه الضمني الجديد الذي انتجته الثقافة الجديدة، التي من خلالها انطلق في تشكيل رؤيته إلى الشعر في هذه المرحلة الجديدة ما يتعلق بلفظه وصوره وأفكاره واوصافه ضمن سياقات المقام الشعري : وقد حظي المقام باهتمام كبير في التصور البيرلماني بعده البؤرة التي تلتقي فيها جميع العناصر الحجاجية من مقدرات برهانية وحقائق فعلية وقرائن بلاغية وقيم بأقسام

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

شتى وعلاقة هذه القيم بمراتب الكائنات والأشخاص المعنيين بخطاب ما (ينظر : علوي :٢٠٠٠ :٥٢٠) وهذا بالضبط ما نجده في مفهوم القيرواني للغة وألفاظها في شعر المولدين الذي قال فيه (إنما تروى لعذوبة ألفاظها ورقتها وحلاوة معانيها وقرب مأخذها ولو سلك المتأخرون مسلك المتقدمين في غلبة الغريب على أشعارهم ووصف الهامة والقفار وذكر الوحوش والحشرات ما رويت لأنَّ المتقدمين أولى بهذه المعاني ... إنما تكتب أشعارهم لقربها من الإفهام..) (القيرواني : ١٩٠٧ :٥٨١١) فابن رشيق يؤكد تلك العلاقة بين اللغة والعصر لإحداث الإفهام والتواصل، ثم ينقل لنا رأيا آخر يدور في القضية ذاتها ويدعمها : (ولم أرَ في هذا النوع في فصل اتى عبد الكريم بن ابراهيم فإنَّه قال قد تختلف المقامات والازمنة والبلاد فيحسن في وقت مالا يحسن في آخر ويستحسن في بلد مالا يستحسن عند اهل غيره ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند اهله بعد ان لا تخرج من حسن الاستواء وحدة الاعتدال وجودة الصنعة وربما استعملت في بلد ألفاظ لا تستعمل كثيرا في غيره ..) (القيرواني : ١٩٠٧ :١١ ٥٩) فابن رشيق يلح ويؤكد على قضية مهمة تتمثل بتغير المقام بتغير الزمن ،وإنَّ هذا التغيير لا يقتصر على محددات جزئية بل هو مرتبط بالسياقات المعرفية والثقافية للعصر ، ومن ثم يكون الفهم والتواصل غاية يفترض تحقيقها لتحقيق الأفضلية والاشتهار ، أي ان التحول في اللغة سيكون ذا قيمة حجاجية تتعلق بالتواصل والإفهام ، وهو الطريق إلى الإقناع ، ومن هنا تكون اللغة في منظور الفعل الكلامي ليست (مجرد أداة للتواصل كما تتصورها المدارس الوظيفية أو رموزا للتعبير عن الفكر كما تتصورها التوليدية التحويلية ، وإنما هي أداة لتغيير العالم وصنع احداثه والتأثير فيه ، وهو القوة المتضمنة في القول) (صحراوي : ٢٠٠٥ : ١٠) وان هذا التغيير، كما اشرنا ،لابد ان يكون إيجابيا بمعنى انه يحقق الافهام والتوأصل ، أي يكون مكيفا مع القارئ الضمني الجديد الذي نشأ على وفق تغير سياق المقام ، وهذا ما يشير اليه الدكتور عماد عبد اللطيف في حديثه عن طبيعة القول الذي يحقق الإقناع قائلا : (فالقول لا يقنع إذا لم يكن موجها أي مكيفا بحسب الحاجات الخاصة التي تقتضيها فئات المخاطبين فالوضعيات تختلف والمراتب تتباين والإفهام تتفاوت ،لذلك يتوجب على المتكلم ان يوائم بين طبقات القول وطبقات احوال المستمعين) (عبد اللطيف : ٢٠١٣ :٦٦)

من هذا المنطلق المراعي تماما للمقام وسياقات الزمن الثقافية تتوسع القيم الحجاجية لعمود الشهرة افقيا وعموديا، شكلا ومضمونا، فتصبح قادرة على التعاطي مع المرحلة الجديدة وتقييمها برؤى حجاجية إقناعية تنظر بعين واحدة للتاريخ الشعري بماضيه البعيد والقريب وبحاضره المليء بالشعراء

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

.وبذلك تتسع دائرة الفحولة بشكلها الجديد المتمثل (بالشهرة) و تبعا لذلك تتغير خارطة الحدود الشعرية التي رسمها النقاد الاقدمون ، وترسم بدلا عنها حدودا جديدة وان اختلفت المصطلحات ؛لهذا حينما ندخل إلى موازنات القيرواني في باب المشاهير من الشعراء فإنَّ القارئ سيجد انها في الحقيقة تتعلق بالشعراء المحدثين والمولدين بشكل اكبر، وان الشهرة بوصفها أداة لعمود المساواة هي التي ضمت عددا من الشعراء المحدثين داخل دائرتها التي بدوا فيها بصورتهم الإطارية العامة متساوين متشابهين ، إلا أنَّهم تميزوا فيما بينهم إلى طبقات أخرى اصغر انتظموا فيها على وفق هذا المعيار، وبذلك يكون ابن رشيق القيرواني قد وسع دائرة تصنيف الشعراء ودائرة الشهرة لتتضمن الشعراء المحدثين والمولدين .

الفروض التطبيقية لحجاج المساواة

من يطلع على خطاب ابن رشيق القيرواني في باب المشاهير من الشعراء سيجد أن الموازنات في هذا الباب تسير في مسارين اثنين على وفق معيار الشهرة ؛ أما المسار الأول ، فقد تمثل بموازنات عابرة للزمن ، إن جاز لنا هذا الوصف ،ونقصد بها أنها تجاوزت الموازنة بين شعراء العصر الجاهلي وشعراء العصر الإسلامي بإدخال الشعراء المحدثين معهم في هذه الموازنات ، وقد خضعت لتصورات خاصة لمبدأ المساواة كما سيأتي بنا الحديث، وهي أيضاً قد انقسمت على قسمين ، تمثل القسم الأول بموازنات عابرة للزمن الواحد ، او الموازنات الثنائية بين جاهلي وإسلامي. اما القسم الآخر فهي موازنة ثلاثية تجاوزت العصرين الجاهلي و الإسلامي إلى زمن الشعراء المحدثين والمولدين :

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

اما المسار الآخر ، فقد تحددت موازناته بين الشعراء المحدثين و المولدين ، حصرا ، ضمن طبقات تشكلت على وفق مبدأ تساوي الشعراء من حيث الشهرة والغلبة ، مع وجود الشاعر الاشهر الغالب على شعراء الطبقة ، وقد حرص ابن رشيق على تأشير ذلك في كل طبقة .

المسار الأول : الموازنات العابرة للزمن .

النمط الأول : الموازنة الثنائية بين جاهلي وإسلامي .

لقد شملت هذه الموازنات العصرين الجاهلي والإسلامي فقط ، من خلال شعراء العصرين المشهورين تحديدا . وقد بنى ابن رشيق خطابه حجاجيا على وفق آراء تنتمي إلى متخصصين في

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

الشعر مثلت آراءهم سلطة على الآخرين ، وهم الشعراء المشهورون بصفة (الحذاق) ، وهم اهل المعرفة والخبرة والاطلاع بالشعر وفنونه ؛ وكان اشتغاله معتمدا على مستوى المساواة والتعادل في الخصائص بين الشعراء المشهورين الذين يمثلون عينة الموازنة، أي التساوي في الأسلوب :(وكان الحذاق يقولون الفحول في الجاهلية ثلاثة وفي الإسلام ثلاثة متشابهون زهير والفرزدق والنابغة والاخطل والاعشى وجرير .. وكان خلف يقول .. الاعشى اجمعهم) (القيرواني : ١٩٠٧ :١١\ ٦٦) ، فنص الموازنة يكشف لنا عن عدد من الاستنتاجات :

١ . إن الموازنة جرت بين عينات شعرية امتلكت خصوصية الاشتهار عن طريق امتلاكها مرتبة الفحولة ، فحول الجاهلية الثلاثة : (زهير \ النابغة \ الاعشى) ، وفحول الإسلام الثلاثة : (الفرزدق \ جرير \ الاخطل) .

٢ . قيام الموازنة على مبدأ التساوي والتعادل في القيمة الأدبية والشهرة :

فحول = متشابهون : زهير = الفرزدق النابغة = الاخطل ، الاعشى = جرير .

من دون أن يتوغل أكثر في تفاصيل المشابهة، مما يدل على انه تشابه وتساو في الاسلوب .

وفي رواية ينقلها ابن رشيق عن ابن سلام بشأن الموازنات بين الجاهلي والإسلامي ، قال فيها : (وقال الجمحي في كتابه سأل عكرمة بن جرير اباه جريرا من أشعر الناس قال اعن الجاهلية تسألني ام الإسلام قال ما اردت الا الإسلام فإذا ذكرت الجاهلية فاخبرني عن اهلها قال زهير شاعرهم قال قلت فالإسلام قال الفرزدق نبعة الشعر في يده قلت فالأخطل قال يجيد مدح الملوك ويصيب صفة الخمر قلت فما تركت لنفسك قال دعني فإنّي نحرت الشعر نحرا) ((القيرواني : ١٩٠٧ :١١\ ٦١) فالتقابل هنا بين الشاعر الجاهلي والإسلامي لم يكن محددا بتفاصيل شعرية، بل برؤية عامة ارتبطت ابتداء ، بالشهرة والذيوع ، فلم يخبرنا لماذا تساوى هذا مع هذا ، في حين ان الاختيار بدا قائما لشهرتهم التي ضمنت قيمتهم الأدبية ، ونجد ان المساواة في هذه القيم هي التي منحتهم هذا التقابل والتوازي ، كما ان الرواية عن الجمحي وهو يمثل سلطة الناقد المتخصص ، منح الرأي حجة اقوى ، اضافة إلى سلطة حجة الاعتراف لأنَّ الرواية عن ابن جرير نفسه ، وهو احد اطراف المناجزة الشعرية والجدل بين الثلاثة مما اعطى الحجة قوة أخرى فوق قوتها.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

وفي أنموذج أخير نقف على سؤال وجهه الحجاج بن يوسف الثقفي إلى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر شعراء الجاهلية ، وعن أشعر شعراء وقته ، مستعملا الوصف الزمني (وقته) الذي يعني الحاضر الأنّي : (فقال أشعر شعراء الجاهلية امرؤ القيس واضربهم مثلا طرفة واما شعراء الوقت فالفرزدق أفخرهم وجرير أهجاهم والأخطل أوصفهم) (القيرواني : ١٩٠٧ :١١ \ ٦١)

فنجد اسلوب المساواة حاضرا بين شعراء عصري الجاهلية والإسلام من حيث الشهرة والقيمة الأدبية ، كما ان الروأيات تثبت وتؤكد ان هؤلاء الثلاثة الفرزدق وجرير والاخطل يمثلون طبقة واحدة متساوية .

النمط الثاني : الموازنة الثلاثية : جاهلي و إسلامي ومولد .

يبدو أن هذا النمط هو الأهم الذي يسعى ابن رشيق بلوغه والحديث عنه واثباته في كتابه؛ لأنَّه يخص شعر المولدين ويمنحهم الشرعية في امتلاك ناصية الشهرة والرفعة الأدبية حالهم حال من سبقوهم في ظل حتمية الزمن وحركته ، فمجرد زجهم في هذه الموازنات يعني منحهم الحجة والشرعية لفحولتهم الشعرية ، وان كانت عن طريق الشهرة التي اصبحت بديلا عنها ومساوية لها .

وقد اشتغل حجاج التساوي بين أشعر شعراء العصور الثلاثة من خلال معيار أدبي هو (الاتجاه او المذهب الشعري) ، فهو يمثل عامل التساوي أو الموازاة بين شعراء هذه العصور ؛ كما يؤشر ذلك ابن رشيق القيرواني في تعليقاته على هذه الموازنات ، فبذلك يكون الاتجاه هو صورة المساواة أو الموازاة التي تجمع الشعراء هؤلاء :

١ . طبقة شعراء أهل البديع : اتجاه او مذهب البديع : (وقالت طائفة من المتعقبين الشعراء ثلاثة جاهلي وإسلامي ومولد فالجاهلي امرؤ القيس والإسلامي ذو الرمة والمولد ابن المعتز... وهذا قول من يفضل البديع بخاصة التشبيه على فنون الشعر) (القيرواني : ١٩٠٧ :١١ \ ٦٣)

٢ . طبقة شعراء الخمر : مذهب اصحاب الخمر وقلة التكلف : (وطائفة أخرى تقول بل الثلاثة الأعشى والأخطل وأبو نواس وهذا مذهب أصحاب الخمر وما ناسبها ومن يقول بالتصرف وقلة التكلف) . (القيرواني : ١٩٠٧ :١١ \ ٦٣)

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

٣ . طبقة شعراء الصنعة : مذهب السهولة و الصنعة : (وقال قوم بل الثلاثة مهلهل وابن أبي ربيعة وعباس بن الأحنف وهذا قول من يؤثر الأنَّفة وسهولة الكلام والقدرة على الصنعة والتجويد في فن واحد ولولا ذاك لكان شيخ الطبع ابو العتاهية مكان عباس لكن ابا العتاهية تصرف) (القيرواني : ١٩٠٧ :١١\ ٦٣) فهذه الطبقات الثلاث جمعها مستوى المساواة عبر الاشتهار بالغرض الشعري الذي كتبوا فيه وهم جميعهم من المشاهير .

المسار الثاني : الموازنات بين المحدثين والمولدين حصرا

ارتبطت المساواة ضمن موازنات الشعراء المولدين بمعيارين رئيسين هما (الشهرة والغلبة) فشهرة شاعر معين تجعله شاعرا غالبا يحمل صيته وذيوعه من هم في جيله وزمنه من الشعراء فتغطي شهرته عليهم . فالغلبة حجة بدت مرتبطة ضمن مستوى المساواة في طبقة الشعراء المولدين المشهورين .

وحدد ابن رشيق طبقة مركزية عامة تضم الشعراء الاشهر من المولدين وكأنها تغطي المرحلة الزمنية كلها لزمن المحدثين ، ثم تتشظى هذه الطبقة الرئيسة إلى طبقات أخرى تقوم أيضاً على المساواة والتعادل في الشهرة من جهة ، وعلى التساوي في الاتجاه وتقارب الزمن من جهة أخرى ، ولهذا يرى احد الباحثين ان مقياس الطبقة لدى ابن رشيق يشير (إلى الدلالة الزمنية التي تعني الجيل من الشعراء) (عسكر :٢٠١٠ :١٥١)

الطبقة المركزية الاشهر (المثال) :

يحدد ابن رشيق الطبقة الاشهر من الشعراء المولدين وكأنهم جميعا يمثلون طبقة واحدة مركزية متساوية تضم عددا من الشعراء الذين مع تساويهم داخل المرتبة الواحدة ، إلا أنَّ ابن رشيق بدا مهتما بترتيبهم حسب الشهرة والغلبة : (وليس في المولدين اشهر من الحسن أبي نواس ثم حبيب والبحتري ويقال إنهما أخملا في زمانهما أكثر من خمسمائة شاعر كلهم مجيد ثم يتبعهما في الاشتهار ابن الرومي وابن المعتز فطار اسم ابن المعتز حتى صار كالحسن في المولدين وامرئ القيس في القدماء فإنَّ هؤلاء الثلاثة لا يكاد يجهلهم أحد من الناس ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس) (القيرواني : ١٩٠٧ :١١\ ٦٤)فهؤلاء الشعراء الذين بلغ عددهم ستة ، وهم : ابو نواس وابو تمام والبحتري ثم ابن الرومي ويليه ابن المعتز حتى جاء ابو الطيب المتنبي فشاركهم الشهرة ،

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

يمثلون قاعدة الشهرة للشعراء المحدثين و المولدين ، وهم ليسوا في زمن واحد ، إذ يفصل بعضهم عن بعض الآخر سنوات طويلة ، ومنهم من لم يكن بزمن قرينه ، وقد جمعهم معيار الشهرة، فألغى الحدود بينهم ؛واما ابو نواس فهو يمثل الشاعر الأفضل والاشهر والمثال لدى ابن رشيق القيرواني الذي يقيس عليه شهرة الآخرين ويقارنهم به ،فحينما يصور للقارئ مدى ما وصلت اليه قيمة ابن المعتز الأدبية فإنَّه يشبهه بشهرة أبي نواس وامرؤ القيس ؛ وفي حديثه عن بشار بن برد في موقع آخر يقارن شهرته وحضوره بأبي نواس قائلا : (وفوق هؤلاء كلهم طبقة في السن اشهرهم وأشعرهم بشار بن برد وليس يفضل على الحسن مولد سواه.. كذا روى الجاحظ وغيره من العلماء) (القيرواني : ١٩٠٧ :١١\ ٦٤) وهو يحتج بشهادة الجاحظ التي تمثل سلطة حجاجية تمتلك قوة إقناعية كبيرة.

طبقات الشعراء المشهورين في ضوء حجاج المساواة .

يتفرع من الطبقة المركزية الرئيسة للشعراء الاشهر عدد من الطبقات الفرعية التي جمع بينها التعادل والتساوي سواء في الاغراض الشعرية او الزمن الواحد وهم كلهم موصوفون بالشهرة التي تمثل إطار المساواة بينهم :

طبقة بشار بن برد : وتشمل بالإضافة لبشار : مروان بن أبي حفصة وابو دلامة زيد ابن الجون الإعرابي.

طبقة نصر بن احمد الخبزرزي : وتشمل بالإضافة له : والاشتهار بالشعر اقسام وحدود ولولا ذلك لم يكن نصر بن احمد الخبزرزي اشهر من منصور النمري وكلثوم العتابي وأبي يعقوب الخزيمي وأبي سعيد المخزومي.

مجلة العلوم الاساسية
التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

طبقة أبي نواس : وتشمل بالإضافة له : العباس بن الاحنف ومسلم بن الوليد وصريع الغواني والفضل الرقاشي وابان اللاحقي وابو الشيص والحسين بن الضحاك ودعبل ونظراء هؤلاء ساقهم دعبل ليس فيهم نظير أبي نواس.

طبقة أبي تمام : وتشمل اضافة له : البحتري وابن المعتز وابن الرومي فطبقة متداركة تلاحقوا وغطوا على من سوأهم حتى نسي معهم بقية من ادرك ابا نواس كابن المعذل وهو من فحول المحدثين وصدورهم المعدودين غمره حبيب ذكرا واشتهارا وكأبي هفانَّ أيضاً أدرك أبا نواس ولحق البحتري فستره وكذلك الجماز . (ينظر : القيرواني : ١٩٠٧ :١١\ ٦٤)

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

فهؤلاء الشعراء كلهم يتفقون ويتساوون بصفة الشهرة داخل الطبقة الواحدة التي مكنتهم من الغلبة على غيرهم من شعراء عصرهم وجيلهم .

حجاج المساواة في باب المقلين من الشعراء والمغلبين

إذا كان باب الشعراء المشاهير يحمل في طياته معياري الكثرة والجودة ، فإنَّ باب المقلين يستند إلى معيار نقيض هو القلة ،إلا أنَّ ابن رشيق لم يبحث اشكالية القلة لدى الشعراء المغمورين غير المشهورين ،بل بحثها عند الشعراء المشهورين الذين يمتلكون رصيدا من الاشتهار مكنهم ،على الرغم ، من قلة أشعارهم ، ان يحظوا باهتمام الرواة واهل الاختصاص ، وان تذكر اسماؤهم في المحافل والمناسبات ، ومن ثم يكونوا العينة المختارة في هذا الباب على سبيل المثال .

المعايير الحجاجية لاختيار العينة

قال ابن رشيق القيرواني في مقدمة هذا الباب : (ولما كان المشاهير من الشعراء كما قدمت أكثر من ان يحصوا ذكرت من المقلين واصحاب الواحدة من وسع ذكره في هذا الموضع ونبهت على بعض المغلبين منهم لما تدعو اليه حاجة التأليف و تقتضيه حاجة التصنيف غير مفرط ولا مفرط ان شاء الله) (القيرواني : ١٩٠٧ :٦٥١١) فهو يحدد حججا لاختيار عينته من الشعراء المقلين والمغلبين ، وهي :

أولا : المعيار الحجاجي المتمثل بالشهرة في عبارته :(الذي وسع ذكره) بمعنى الذي ذاع صيته من الشعراء على ان الشهرة التصقت بقيمة حجاجية أخرى هي (العصر) فجل الشعراء المقلين الذين تم الحديث عنهم هم من الجاهليين حصرا ، فقيمة عصرهم واحدة من الحجج التي منحتهم تلك الشهرة .

ثانيا : حجاج المواضع الكمية (القلة) وهم الشعراء الموصوفون بقلة شعرهم والذين تمت غلبتهم من قبل شعراء آخرين .

ثالثا : اختيار الروايات والاخبار ذات القيمة الحجاجية المائزة لإثبات الغالب والمغلوب في الهجاء.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

وعلى وفق ذلك نجد ان الموازنة انتجت وافرزت لنا طبقتين من الشعراء ،هما : (طبقة الشعراء المقلين) الذين تساووا في قلة أشعارهم وتساووا لأنَّهم من المشهورين ، و (طبقة الشعراء المغلبين) وهي تضم عددا من الشعراء المتساوين في القلة والغلبة ، وهم من المشهورين أيضاً.

الفروض التطبيقية لحجاج المساواة في طبقة الشعراء المقلين

قد ارتكز خطاب المساواة الإقناعي في تشكيل هذه الطبقة على نمطين من الحجج، النمط الأول : يتمثل بالمواضع الكمية المرتبطة بقلة أشعارهم ، والنمط الآخر يتمثل بامتلاكهم سلطة الاشتهار ، وان هذا الاشتهار ارتبط في بعد من ابعاده بحجة أخرى هي العصر ، فبدا جميع الشعراء الذين تم اختيارهم من قبل القيرواني من الجاهليين ، والسبب يتعلق بجملة الاسباب التي اشرناها في المبحث الخاص عن المساواة في موازنات ابن سلام ، وما اشرناه من قضأيا مثلت محركات انتجت لنا اشكالية مهمة هي (الاختلاف) بوصفها محركا للبناء الحجاجي في الموازنات ، وان من جملة المسببات التي انتجت هذا الاختلاف هي الأنتحال وضياع الشعر بسبب الحروب وغياب التدوين إلى غير ذلك من الاسباب التي وقفنا عندها، والا فلم يحدث هذا الامر مع الإسلاميين ولا مع المولدين ، عليه يكون شاعر مثل طرفة بن العبد وهو يعد من شعراء الواحدة يمتلك كل هذا الحضور الاعلامي والشهرة الكبيرة ،ان جاز وصفه بلغتنا المعاصرة، فيغطي على شعراء مكثرين في عدد قصائدهم ، وعلى هذا الاساس نجد ان ابن رشيق يضعه على رأس الطبقة الأنَّموذج او المثال الخاصة بالشعراء المقلين الجاهليين الأكثر شهرة من غيرهم من الشعراء : (فمن المقلين في الشعر طرفة بن العبد وعبيد بن الابرص وعلقمة بن عدي الفحل وعدي بن زيد ... وطرفة أفضل الناس واحدة عند العلماء وهي المعلقة لخولة اطلال ببرقة ثهمد وله سواها يسير لأنَّه قتل صغيرا حول العشرين) (القيرواني : ١٩٠٧ :١١ ٦٥) فابن رشيق يختار طبقة عليا من الشعراء المقليين الجاهليين لتكون معيارا او انموذجا قياسيا للشهرة والقيمة الأدبية كما انه يختار شاعرا انموذجا أو مثالا ليكون هو المعيار الذي يقيس عليه وهو الشاعر طرفة بن العبد على قلة قصائده وهو ما اثبته له ابن سلام في طبقاته .

ان ارتباط حجاج المساواة بمعيار كمي هو القلة بالنسبة للشعراء الاشهر ضمن هذا المستوى افرز لنا عن نمطين او طبقتين من الشعراء الموصوفين بالمقلين ،وهاتان الطبقتان هما ، طبقة الشعراء المقلين ممن لديهم عدد من القصائد ، وطبقة الشعراء المقلين من اصحاب الواحدة .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

فأما الطبقة الأولى ، وهي طبقة الشعراء المقلين الذين لديهم عدد قليل من القصائد قياسا بأصحاب الواحدة ، فهم تساووا بصفة (القلة)، إلا أنَّها قلة ذات قيمة عالية من الجودة .

وقد انطلق ابن رشيق في تصنيفه لهؤلاء الشعراء المقلين من استعمال حجة المواضع الكمية ، وهي (القلة) التي مثلما كانت تمثل اشكالية لدى الاصمعي وابن سلام فإنَّ القيرواني قد عانى منها أيضاً وهو ينظر إلى شعرائه الجاهليين ،فمن هؤلاء المقلين من وضع الشعر له أو اضيفت اليه أشعار كثيرة لأسباب وقفنا عندها ، في حين ان هناك من بدا شعره محكما ، فيقول عن عبيد بن الابرص وهو من مشاهير شعراء الجاهلية : (وعبيد بن الابرص قليل الشعر في أيدي الناس على قدم ذكره وعظم شهرته وطول عمره) (القيرواني : ١٩٠٧ :١١ ٦٥) فنجد في هذا النص ان القلة: (قليل الشعر) في مقابل الشهرة التي جاءت من خلال : قدم ذكره \ عظيم شهرته \ طول عمره ، فصار (مقلا مشهورا) ، اما الشاعر علقمة الفحل فله (ثلاثة قصائد مشهورات) فاستعمل حجة الرقم (ثلاثة) مع الوصف بالشهرة ، وهكذا بالنسبة للشاعر الآخر عدي بن زيد فله اربع قصائد مشهورات وقد حمل على شعره الكثير .(ينظر : القيرواني : ١٩٠٧ :١١ ٦٦) فالشهرة ارتبطت بشهرة القصائد القليلة لعلقمة وعدي بن زيد .

ثم يشير إلى مجموعة من الشعراء المقلين وصفهم بالمحكمين من دون ان يتعرض لتفاصيل تتعلق بشعرهم سوى وصفها بالقلة والجودة إذ قال : (ومن المقلين المحكمين سلامة بن جندل وحصين بن الحمام المري والمتلمس والمسيب بن علس كل أشعارهم قليل في ذاته جيد الجملة) (القيرواني : ١٩٠٧ :١١ ٦٦)

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

ان ابن رشيق يستعرض الشعراء المقلين والآراء التي قيلت فيهم ، إلا أنَّ الابتداء بذكر ابن الابرص وعدي بن زيد و أبي دؤاد وعلقمة يعطي مؤشرا للقارئ بتفضيلهم على سواهم من المقلين ، مع انه في نهأية الحديث عن هذه الطبقة و عبر استناده على حجة الاجماع والاتفاق يشير إلى ما تم ذكره بشأن الأشعر من المقلين وهم من غير هؤلاء الذين ذكرنأهم : (ويروى عن أبي عبيدة انه قال اتفقوا على ان أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثة المتلمس و المسيب بن علس و حصين بن الحمام المري) (القيرواني : ١٩٠٧ :١١ ٦٦)وهكذا يتساوى هؤلاء الشعراء المقلين في عدد قصائدهم الجيدة وهو الجامع لهم في ادخالهم دائرة المساواة .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

واما الطبقة الأخرى ، واعني طبقة الشعراء اصحاب الواحدة الجيدة فهم شعراء مقلون أيضاً ، لكنها قلة نادرة تصل للقصيدة الواحدة الجيدة أحياناً ، فهم من يشتركون في حجة (القلة) فعرفوا بأصحاب القصيدة الواحدة الجيدة والمشهورة ، أي ان عددا منهم له قصائد أخرى لكن له قصيدة واحدة جيدة مشهورة فقط نقلت الشهرة اليهم .

يؤشر ابن رشيق اصحاب هذه الطبقة بقوله : (واما اصحاب الواحدة فطرفة أولهم عند الجمحي وهو الحكم الصواب ومنهم عنترة والحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم من اصحاب المعلقات المشهورات وعمرو بن معد كرب صاحب (امن ريحانة الداعي السميع) والأشعر بن حمدان الجعفي صاحب المقصورة ... وله شعر كثير لكنه لا ينتهي إلى قصيدته هذه) (القيرواني : ١٩٠٧ :١١ ٦٦) فهؤلاء الشعراء جمعتهم المساواة القائمة على نمطي المواضع الكمية والكيفية معا ، فلهم قصيدة واحدة جيدة اشتهروا بها ، ونجد ان ابن رشيق يحتج لهذا الاختيار والتفضيل من خلال سلطات حجاجية إقناعية عالية تمثلت بما يأتي :

١ . الاحتجاج بتفضيل الشاعر طرفة بن العبد بإحالة القارئ إلى طبقات ابن سلام الجمحي ، وهو يمثل سلطة حجاجية ،لأنَّه يمثل مؤلفا مائزا في النقد في زمن القيرواني فضلا عن قيمة مؤلفه ابن سلام فهو عالم بالشعر ومتخصص فيه، ثم يضاعف ابن رشيق الحجة بتعضيده وثنائه على رأي ابن سلام بقوله (وهو الحكم الصواب) فهو بهذه العبارة يفرض سلطته على القارئ ويحكم سيطرته عليه ، إذ يعد هذا الاسلوب من اساليب القاء الحجج ذات القوة البالغة التي يمارسها المرسل ، إذ يقوم بـ (ممارسة نوع من التقييد لآراء المتلقي عبر التسلط على خياراته ، يتم ذلك من خلال ما يقوم به بعض المرسلين من صياغة آرائه الشخصية في قوالب الاحكام غير قابلة للرد او المناقشة ، مما يعد تسلطا على المتلقي الذي ربما رأى غير ما يرى المرسل) (العتيبي : ٢٠١٦ : ٢٥٧) .

٢ . الاحتجاج بالشعراء المشهورين : عنترة والحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم : الحجة : الاحالة إلى وثيقة أدبية عالية الحجة والشهرة وهي شعر معلقات العرب.

٣ . عمرو بن معد كرب والأشعر بن حمدان الجعفي : الحجة : الشاهد الشعري وشهرته وتحديده بالنسبة لكل من الشاعرين .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

وبذلك يحقق القيرواني خطابا حجاجيا إقناعيا لموازنته القائمة على المساواة لأصحاب الواحدة المشهورة .

الفروض التطبيقية لحجاج المساواة في طبقة الشعراء المغلبين

إن هؤلاء الشعراء هم مشهورين أيضاً ، لكنهم غلبوا في غرض الهجاء من قبل شعراء آخرين قد يكونوا اقل منهم شهرة ، وقد يكونوا اعلى مكانة منهم ، لكنهم لم يستطيعوا الرد على هجائهم فبانت عليهم خسارة المواجهة ، وقد عرف ابن رشيق القيرواني المغلب بقوله : (ومعنى المغلب الذي لا يزال مغلوبا) (القيرواني : ١٩٠٧ : ١١ ٦٧) أي أن الشاعر استمر خاسرا لأكثر من مرة ، أي ، لم تكن خسارته لمرة واحدة فقط، بل ما يزال على هذه الحال حتى صار مغلبا مشهورا بذلك ، فمن خلال تكرار الخسارة والغلبة تحققت شهرته السلبية .

ان الغلبة بين الشعراء تستند على قاعدة حجاجية مهمة ترتبط بالزمن ، وهي ان الشاعر المغلب والشاعر الغالب لابد ان يكونا في عصر واحد او زمن واحد ، بل لابد ان يكونا متقاربين، كي تتحقق المنافسة والمغالبة بينهما ، فلا يمكن ان يغلب شاعر إسلامي شاعرا جاهليا مطلقا ، لأنَّ الآخر ليس موجودا فلا يستطيع الرد عليه و اعلانَّ هزيمته امامه شعرا . وقد جاء في عدد من نصوص القيرواني استعمال نمط من الافعال الكلامية ذات البعد التشاركي التي تدل على هذا النمط من الصراع بين الشعراء: (هاجا \ هاجاه \ هجا ..) فهو يمثل وجود آخر يكون ندا امام الشاعر الهجاء، يحقق من خلال تواجده اتصالا وتواصلا حيا بينهما وليس عبر الزمن أو بعد مماته .

من هنا يكون المعيار الأول الذي يؤسس عليه القيرواني هو (الزمن الواحد) أي (الجيل الواحد) ، ومع انه يستشهد بأحد أبيات امرئ القيس في حديثه عن الغالب والمغلوب ، إلا أنَّ ابن رشيق يقصر امثلته على الشعرين الإسلامي والمولد ، فيمكننا ان نؤشر طبقتين من الشعراء المغلبين ، وهما طبقة الشعراء المغلبين الإسلاميين متضمنة المخضرمين منهم ، وطبقة الشعراء المغلبين من المولدين .

اما المعيار الثاني الذي ارتبط بقيمة هذه القضية الأدبية هو ما يتعلق بالغرض الشعري : (الهجاء) حصرا وقد يأتي الفخر الذي يقوم برفع صاحبه إلى الحد من تسفيه الآخرين وهجائه. لذا نقف على طبقتين تشكلتا عبر حجاج المساواة ، وهما :

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

طبقة الشعراء المغلبين الإسلاميين والمخضرمين : النابغة الجعدي ، الاخطل ، الراعي ، الزبرقان ، تميم بن أبي مقبل .

طبقة الشعراء المغلبين المولدين : بشار بن برد ، علي بن الجهم ، ابو تمام في عدد المواضع.

ان قراءة في اسماء هؤلاء الشعراء يضعنا امام تساؤل مهم ، فهم من ابرز واشهر شعراء عصرهم إلا أنَّ من غلبهم كانوا اقل منهم قيمة في احيان كثيرة : فالنابغة الجعدي غلبه في بعض المواضع كما ينقل لنا ابن رشيق (من لم يكن اليه في الشعر ولا كان قريبا منه عقال بن خويلد العقيلي وكان مفحما عليه بكلام لا بشعر وهجاه سوار بن اوفى القشيري) (القيرواني : ١٩٠٧ :١١\ ٦٧) اما من مغلبي المولدين فعلى جلالته وتقدمته ،كما يصفه القيرواني ويعني بشار بن برد فقد غلبه حماد عجرد الذي يقول عنه بأنه ليس ندا ولا من رجاله ولا اكفائه هجاه فأبكاه ومثل به اشد تمثيل ، وكذا الحال مع علي بن الجهم . (ينظر : القيرواني : ١٩٠٧ :١١\ ٦٨)فابن رشيق يؤكد قضية عدم التكافؤ بين الغالب والمغلوب ،وهذا يعطيك تصورا ان الغرض الشعري وقيمته يمثل معيارا مهما يدخل في ضمن تأسيس قيمة الشاعر ومكانته لأنَّه السلاح الابرز في ميدان المواجهات بين الشعراء ، وهو ما لا تجده في اغراض أخرى ، ولعل قيمة الشعراء الثلاثة الإسلاميين الابرز الفرزدق وجرير والاخطل جاءت من قيمة حضور هذا الغرض وتمكنهم منه .

الخاتمة : .

على الرغم من ان كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني يعد من بين المؤلفات التي سعت لإلمام بأكثر تفاصيل القضأيا الأدبية المتعلقة بالشعر والنثر ، فهو يعد من هذا الجانب مرجعا مهما لدارسي الادب العربي ، إلا أنَّه لم يغفل القضأيا النقدية البارزة في الادب العربي لاسيما التي تتعلق بالشعر ونقده ، وابرزها قضية الموازنات الشعرية . إذ استطاع ان يقدم لنا رؤية نقدية انطلقت من تلك الصراعات التي حدثت بين القديم والحديث ليضع تصنيفاته للشعراء في ضوء ما تمخضت عنه تلك الصراعات .

على الرغم من ان الكتاب لم يكن اشتغاله الرئيس هو الموازنات إلا أنَّ ابن رشيق وقف عليها في عدد من ابواب كتابه ، ويمكن ان نثبت النتائج التي انتهت اليها الدراسة :

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

١ . اثبتت الدراسة ذلك الحضور الفاعل للحجاج وأهميته في الدراسات التراثية العربية ، وانه يمثل أداة قرائية مهمة للوصول إلى غأياته ومقصدياته .

٢ . انطلقت موازنات ابن رشيق من المنطلقات التراثية النقدية السابقة له التي قامت على حضور الاختلاف وعدم امكانية تسمية الشاعر الأفضل والأشعر بين أقرانه ، فلجأت إلى مستوى المساواة ليصبح حجة اجرائية لجمع عدد من الشعراء الذين بدوا متساوين في مراتبهم إلا أنَّ شعرهم قائم على الاختلاف فيما بينهم .

٣ . صنف ابن رشيق الشعراء على ثلاثة طبقات ، وزعت على اساس غلبة الشعر على صاحبها ، لذا جاءت هناك طبقة خاصة بمن ليسوا مشهورين بالشعر مثل الشعراء الخلفاء والقضاة والفقهاء . وجاء تصنيف هؤلاء بناء على قيمة ومنزلة مهنهم وليس شعرهم فتسيد الخلفاء الشعراء المنزلة الارفع وتلاها القضاة ثم الفقهاء .

٤ . ارتكزت الموازنات على معيار حجاجي تمثل بـ (الشهرة) التي بدت عند القيرواني تساوي الفحولة.

٥ . بدا معيار الشهرة واضحا وبارزا في الطبقتين الآخرتين وهي طبقة الشعراء المشهورين ، وطبقة الشعراء المقلين . وهو في جميع هذه الموازنات المتعلقة بالشعراء استطاع ان يتجاوز البعد الزمني ويتنقل بين العصور الرئيسة الثلاثة الجاهلي والإسلامي والمولد .

٦ . مثل كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني ثمرة مهمة من ثمرات الصراع بين القديم والجديد ليحقق غأية رئيسة وهي تحقيق التقبل لهذا الشعر الذي بدا مهيمنا على الذائقة الأدبية تلك الحقبة من الزمن.

الفهرست :

١. ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين ، (ت٧١١ هـ) ، لسان العرب ، اليازجي وجماعة مؤلفين ، ج١١، دار صادر ، بيروت.
٢. الازدي ، ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١ هـ)،١٩٨٧ ، جمهرة اللغة ، تحقيق منير بعلبكي ، ط١ ، ج١، دار العلم للملأيين . بيروت ، لبنان.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

٣. الآمدي ، أبي القاسم الحسن بن بشر (ت ٣٧٠ هـ) ، ١٩٥٤ ، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، تحقيق ، السيد احمد صقر ، ط٤ ، ج١ ، دار المعارف ، القاهرة .

٤. ابن وهب ، اسحاق (ت ٣٣٥ هـ) ، ١٩٦٧، البرهان في وجوه البيان ، تحقيق ، احمد مطلوب وخديجة الحديثي ،مطبعة العاني ، بغداد.

٥. بروتون ، فيليب ، الحجاج في التوأصل ، ٢٠١٣ ،ترجمة: محمد مشبال و عبد الواحد التهامي العلمي ،ط١، المركز القومي للترجمة ،القاهرة .

٦. الخطيب ، علي عزالدين ، ٢٠٢٤، منازل المعرفة خطاب ما بعد الحداثة في نقد بشرى موسى صالح ، ط١ ، دار ومكتبة عدنان ، العراق .

٧. الدريدي ، سامية ، ٢٠١١، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ،ط٢، عالم الكتب الحديث ، الاردن.

٨. دولوز ، جيل ، ٢٠٠٩ ، الاختلاف والتكرار ،ترجمة : د. وفاء شعبان ، مراجعة جورج زيناتي ، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت .

٩. الزمخشري ، ابو القاسم جار الله محمود بن عمر بن احمد (ت ٥٣٨ هـ) ،اساس البلاغة ، تحقيق، محمد باسل عيون السود ، ط١، دار الكتب العلمية . بيروت .

١٠. الشهري ، عبد الهادي بن ظافر ، ٢٠٠٤ ، استراتيجيات الخطاب (مقاربة تداولية) ،ط١ ، دار الكتب الجديدة المتحدة .لبنان .

١١. صالح ، بشرى موسى ، ٢٠١٩ ، الاعراف التداولية في التراث النقدي العربي ، ط١،دار ميم للنشر ، الجزائر.

١٢. صحراوي ، مسعود ، ٢٠٠٥ ، التداولية عند العلماء العرب ، ط١ ، دار الطليعة والنشر ، بيروت .

١٣. صولة ، عبد الله ، ١٩٩٩ ، الحجاج اطره ومنطلقاته وتطبيقاته ، دار الطليعة ، بيروت .

١٤. عبد اللطيف ، عماد ، ٢٠١٣ ، بلاغة الإقناع في المناظرة ، ط١ ، دار ومكتبة عدنان ، العراق .

١٥. عبد المجيد ، جميل ، ٢٠٠٠، البلاغة والاتصال ، ط١، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد السادس والثلاثون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

١٦. علوي ، حافظ اسماعيل مجموعة باحثين ،٢٠٠٠ ، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ، ج١ ، عالم الكتب الحديث ، اربد الاردن .

١٧. الفراهيدي ، الخليل بن احمد (ت ١٧٠ هـ) ، ١٩٨٧ ، كتاب العين ، تحقيق ، د. مهدي المخزومي ، د. ابراهيم السامرائي ، ج٢، دار ومكتبة الهلال ، مصر.

١٨. الفيروز بادي ، مجد الدين محمد (ت ٨١٧ هـ) ، ١٩٩٦ ، بصائر ذو التمييز في لطائف الكتاب العزيز ،ت محمد علي النجار ،ج٣ ، المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة .

١٩. القيرواني ، أبي الحسن بن رشيق ، (ت٤٦٣ هـ) ، ١٩٠٧ ، العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تحقيق ، محمد محي الدين عبد الحميد، ط١ ، ج١ ، مطبعة السعادة ، مصر .

٢٠. المجلسي ،محمد باقر بن محمد تقي ،(ت ١١١٠هـ) ، ١٩٨٣ ، بحار الأنَّوار ، ج٧٨ ، ط٣ ، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان .

٢١. المبخوت ، شكري ، ١٩٩٣ ، جمالية الالفة النص ومتقبله في التراث النقدي ، ط١ ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، بيت الحكمة ، تونس .

الدوريات :.

٢٢. جوزباث ، ستيفانَّ ، ٢٠١٧ ، مساواة ، مجلة حكمة ، موسوعة ستانفورد للترجمة ، ترجمة ، توفيق السيف، شباط .الجزائر .

٢٣. العتيبي ، غازي عوض غازي ، ٢٠٢٠ ، اسلوب الحجاج في كتب الخصومة في التراث العربي بحث في استراتيجيات الإقناع ، المجلة العربية للعلوم الأنَّسانية ، مجلد ٣٨ ، عدد ١٥٢، الكويت .

رسائل وإطاريح : .

٢٤. عبيد ، رشا حسين ، ٢٠٢٠ ، بنية الحجاج في الخطاب القرآني أيات الاعراف والتقاليد انموذجا ، اطروحة دكتوراه ، جامعة الكوفة . العراق .

٢٥. العتيبي ، غازي عوض غازي ، ٢٠١٦ ، بنية الحجاج في كتاب الموازنة للآمدي ، كلية الآداب جامعة عين شمس ، مصر .

٢٦. عسكر ، حيدر اسماعيل ، ٢٠١٠ ، مستويات المفاضلة في نقد الشعر عند العرب حتى نهأية القرن الخامس الهجري ، الجامعة المستنصرية .العراق .

.٢٧

28. Ibn Manzur, Abu al-Fadl Jamal al-Din (d. 711 AH), Lisan al-Arab, al-Yaziji and a group of authors, vol. 11, Dar Sadir, Beirut .
29. al-Azdi, Abu Bakr Muhammad ibn al-Hasan ibn Duraid (d. 321 AH), 1987, Jamharat al-Lughah, edited by Munir Baalbaki, 1st ed., vol. 1, Dar al-Ilm lil-Malayin, Beirut, Lebanon .
30. al-Amidi, Abu al-Qasim al-Hasan ibn Bishr (d. 370 AH), 1954, Al-Muwazana Bayn al-Qur'an Bayn al-Buhturi's Poetry, edited by Sayyid Ahmad Saqr, 4th ed., vol. 1, Dar al-Ma'arif, Cairo .
31. Ibn Wahb, Ishaq (d. 335 AH), 1967, Al-Burhan fi Wujoh al-Bayan, edited by Ahmad Matlub and Khadija al-Hadithi, al-Ani Press, Baghdad
32. Proton, Philip, Argumentation in Communication, 2013, translated by Muhammad Mishbal and Abdul Wahid Al-Tihami Al-Ilmi, 1st ed., National Center for Translation, Cairo
33. Al-Khatib, Ali Ezz El-Din, 2024, Mansions of Knowledge: Postmodern Discourse in the Criticism of Bushra Musa Saleh, 1st ed., Adnan House and Library, Iraq
34. Al-Dardi, Samia, 2011, Argumentation in Arabic Poetry: Its Structure and Methods, 2nd ed., Modern World of Books, Jordan
35. Deleuze, Gilles, 2009, Difference and Repetition, translated by Dr. Wafaa Shaaban, revised by George Zenati, 1st ed., Center for Arab Unity Studies, Beirut
36. Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Jarallah Mahmud ibn Umar ibn Ahmad (d. 538 AH), The Basis of Rhetoric, edited by Muhammad Basil Ayoun Al-Sud, 1st ed., Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut.
37. Al-Shahri, Abdul Hadi bin Dhafer, 2004, Discourse Strategies (A Pragmatic Approach), 1st ed., Dar Al-Kotob Al-Jadida Al-Muttahida, Lebanon

38. Saleh, Bushra Musa, 2019, Pragmatic Norms in the Arab Critical Heritage, 1st ed., Dar Meem Publishing, Algeria
39. Sahrawi, Masoud, 2005, Pragmatics among Arab Scholars, 1st ed., Dar Al-Tali'aa and Publishing, Beirut
40. Soula, Abdullah, 1999, Argumentation: Its Frameworks, Principles, and Applications, Dar Al-Tali'aa, Beirut
41. Abdul Latif, Imad, 2013, The Rhetoric of Persuasion in Debate, 1st ed., Adnan Library and Publishing House, Iraq
42. Abdul Majeed, Jameel, 2000, Rhetoric and Communication, 1st ed., Dar Ghareeb for Printing, Publishing, and Distribution, Cairo
43. Alawi, Hafez Ismail, Group of Researchers, 2000, Argumentation: Its Concept and Fields: Theoretical and Applied Studies in New Rhetoric, Vol. 1, Modern Book World, Irbid, Jordan
44. Al-Farahidi, Al-Khalil ibn Ahmad (d. 170 AH), 1987, The Book of Al-Ayn, edited by Dr. Mahdi Al-Makhzoumi and Dr. Ibrahim Al-Samarrai, Vol. 2, Dar and Library of Al-Hilal, Egypt
45. Al-Fayruz Badi, Majd Al-Din Muhammad (d. 817 AH), 1996, Insights of the Discerning One in the Subtleties of the Noble Book, edited by Muhammad Ali Al-Najjar, Vol. 3, Supreme Council for Islamic Affairs, Cairo
46. Al-Qayrawani, Abu Al-Hasan ibn Rasheeq, (d. 463 AH), 1907, The Pillar in the Art of Poetry and its Criticism, edited by Muhammad Muhyi Al-Din Abd Al-Hamid, 1st ed., Vol. 1, Al-Saada Press, Egypt
47. Al-Majlisi, Muhammad Baqir ibn Muhammad Taqi (d. 1110 AH), 1983, Bihar al-Anwar, vol. 78, 3rd ed., Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut, Lebanon
48. Al-Mabkhout, Shukri, 1993, The Aesthetics of Textual Familiarity and Its Receptivity in Critical Heritage, 1st ed., Tunisian Academy of Sciences, Literature, and Arts, Bayt al-Hikma, Tunis

Publications

49. Joseph, Stefan, 2017, Equality, Hikma Magazine, Stanford Encyclopedia of Translation, translated by Tawfiq al-Saif, February, Algeria

50. Al-Otaibi, Ghazi Awad Ghazi, 2020, The Style of Argumentation in Books on Disputes in the Arab Heritage: A Study of Persuasion Strategies, Arab Journal of Humanities, vol. 38, no. 152, Kuwait

Theses and Dissertations:

51. Ubaid, Rasha Hussein, 2020, The Structure of Argumentation in Qur'anic Discourse: Verses on Customs and Traditions as a Model, PhD Thesis, University of Kufa, Iraq

52. Al-Otaibi, Ghazi Awad Ghazi, 2016, The Structure of Argumentation in Al-Amidi's Book Al-Muwazana, Faculty of Arts, Ain Shams University, Egypt

53. Askar, Haider Ismail, 2010, Levels of Comparison in Arab Poetry Criticism until the End of the Fifth Century AH, Al-Mustansiriya University, Iraq

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية